

دراسة قصيدة

تِهْ دَلالاً

لابن الفارض

بالمنهجين: اللُّغوي والتَّكاملي

Study poem

ebn alfarid «teh dalalan»

With both approaches:

Linguistic and integrative

مصطفى كمال الزايد

Mustafa Kamal Alzaied

Alzayd7@gmail.com

رقم ORCID الخاص بكل باحث

https://orcid.org/0009-0009-7937-1683

بإشراف: د. أنس حسن عبدو

جامعة الزيتونة الدولية

كلية الدراسات العليا والبحث العلمي

ماجستير لغة عربية

١٤٤٤ - ١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣ - ٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان البحث:

دراسة قصيدة «تِـهْ دَلالاً» لابن الفارض بالمنهجين، اللغوي والتكاملي

ملخص البحث:

الحب الإلهي أحد ثمرات الفكر الإسلامي، وقد تميز به عدد من الشعراء، كان من بينهم سلطان العاشقين ابن الفارض، الذي يعرض البحث لحياته منذ نشأته، وتربيته الدينية الصوفية التي تلقاها على يد والده القاضي، وسلوكه سبيل التصوف، وخلواته، وشيوخه، وسياحته، والصبغة العامة لشعره، ويتناول عمق الحب الإلهي عنده، الذي أثمر معظم شعره المتسم بالشوق والوجد، والحزن على الهجر، والفرح بالوصل، وأثر هذا الحب في نفسه وشعره، وجماليات الانطباع الذي اتسم به شعره في فلك التعبير عن مشاعره تجاه جمال الله، وذلك من خلال دراسة أبيات من قصيدته التي مطلعها:

تِـهْ دَلالاً فأنت أهل لِذاكا   وَتَحَكَّمْ فَالْحُسْنُ قَدْ أعْطاكا

مشكلة البحث:

الشعر الصوفي عذب في معانيه، جميل في مبانيه، يعتريه غموض في بعض الدلالات لها أسبابها، لكنها قد تصطدم عند بعض المتلقين بقضايا عقدية، ولا سيما أن مدار هذا الشعر هو الحب الإلهي، الذي تعامل معه الصوفية بعمق بعيد الغور وعالي الطور، ما دفع كثيراً من الناس إلى الإنكار عليهم، واتهامهم بالتسوية بين العبد وبين الرب، في أقل تقدير، واعتقاد الاتحاد أو الحلول في ما فوق ذلك. وبدراسة أبيات لابن الفارض، من خلال المنهجين؛ اللغوي والتكاملي نحاول أن نضع أيدينا على أهم معطيات هذه الدلالات الصوفية، ومفهوم الحب الإلهي عندهم، ومدى موافقته أو مخالفته لعقيدة الإسلام وشريعته، بتعمق خال من التجني، وإنصاف بعيد عن الهوى.

أهداف البحث:

أولا: دراسة النص دراسة لغوية، وتتضمن:

١ - شرح المفردات.

٢- شرح القصيدة شرحاً لغوياً.

٣- تحديد الأساليب البلاغية في النص.

٤- تحديد الأساليب البديعية في النص.

ثانياً الدراسة التكاملية، وتتضمن:

١- تحديد الاتجاه الشعري للنص.

٢- تحديد الاتجاه الفكري للنص.

٣- تحديد السمة العامة للنص.

٤- ارتباط النص بثقافة الشاعر.

٥- دراسة المضمون النفسي.

٦- دراسة الألفاظ ودلالاتها في سياقها في النص، وإيحاءاتها في إطار الاتجاه الفكري للشاعر.

٧- دراسة اتكاءات الشاعر في نصه من خلال ثقافته.

٨- دراسة الجوانب التي صدر في إطارها النص، والمؤثرات التي أسهمت في إخراجه والانطباعات ذات العلاقة الوشيجة بالنص وصياغته، وهي: الجانب العقدي، والفكري، والفلسفي، والثقافي، والذوقي، واللغوي، والاجتماعي، والنفسي، والتاريخي، والبلاغي، والإشاري، والدلالي، والعروضي، والقافية، والروي، والسياق، والتأويل والتأمل الذاتي، والتحليل اللغوي، والجانب الشعوري وارتباطه بصاحب النص (العاطفة)، والواقعية والخيال، والجانبين الوجداني والفني، وعلاقة الشكل بالمضمون.

دراسات سابقة:

١- سلطان العاشقين ابن الفارض وخصائصه الشعرية، محمد علي أبو الحسني، مجلة «إضاءات» مجلة فصلية محكمة، السنة الأولى، العدد الثالث، أيلول (سبتمبر) ٢٠١١م.

يتناول البحث خصائص شعر ابن الفارض، التي تعددت موضوعاتها بين الحب والغزل، والخمر، التي ليست كالخمر المعروفة، وإنما يرمز فيها رمزاً صوفياً، وخلص الباحث إلى أن شعر ابن الفارض امتاز بكثرة ورود

الجناس والتضاد فيه، وأنه انتهج في شعره من حيث الشكل الطابع التقليدي، ولم يتجه إلى البديع اتجاهاً مسرفاً كما درج في عصره، أما من حيث المضمون فقد غلب على شعره طابع التصوف، وإن ألبس معانيه أثواباً من المعاني التقليدية في الغزل والنسيب والخمريات، وما شابهها، ويستعمل اسم ليلى أحياناً لمطلق الحبيب، والمراد في معظم قصائده هو الحق سبحانه وتعالى.

٢- الحب الإلهي في القصيدة الخمرية لابن الفارض، دراسة تحليلية، إندر فوجيينتي، بحث مقدم للحصول على الدرجة الجامعية الأولى من قسم الدراسات الإسلامية والعربية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية، جاكرتا، إندونيسيا، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م.

استهدف البحث معرفة مفهوم الحب الإلهي، والتعرف على الشاعر ابن الفارض، وقصيدته الخمرية، والمعاني المضمنة فيها. واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، فعرّفت الحب الإلهي، والشاعر، وحللت قصيدته التي مطلعها:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة   سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم[١]

وخلصت الباحثة إلى أن الحب الإلهي في القصيدة يتضمن معاني الإيمان بالله مطلقاً، وشدة الحب والشوق، والزهد، وحيازته لقب سلطان العاشقين لأن الحب يحتل مقاماً مركزياً في أشعاره الصوفية.

٣- لغة الشعر عند ابن الفارض – قصيدة «نظم السلوك» نموذجاً، حربي نعيم محمد الشبلي، وأحمد سالم عبيد الشمري، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد ٢٥، شباط (فبراير) ٢٠١٦م، الحلة، العراق.

تناول البحث لغة الشعر في قصيدة «نظم السلوك» لابن الفارض، التي تعد من أفضل أناشيد المحبة الإلهية. وانقسم البحث إلى ثلاثة مباحث، تناول الأول دراسة الألفاظ السائدة لدى الشاعر في قصيدة نظم السلوك، في حين عرض المبحث الثاني كيفية صياغة الشاعر للجملة الشعرية. أما المبحث الثالث فقد اختص بدراسة المستوى الإيقاعي والوقوف على تقنيات الموسيقى لديه.

٤- تائية ابن الفارض الكبرى دراسة بلاغية، موفق مجيد ليلو، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، بكلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

---

[١] ديوان ابن الفارض، ص١٤٠.

قسم الباحث دراسته إلى ثلاثة فصول، تضمن الأول المستوى التصويري في ثلاثة مباحث: الصورة التشبيهية والصورة المجازية والصورة الكنائية. وتناول الفصل الثاني المستوى التركيبي، ويشمل خمسة مباحث: الأسلوب الخبري، والأساليب الإنشائية وأسلوب القصر، والفصل الثالث خصصه لفنون البديع، في مبحثين: المحسنات اللفظية، وتضم الجناس والتصدير والاقتباس والتضمين والتكرار والترصيع والتصريع والموازنة، والمحسنات المعنوية، وتضم الطباق والمقابلة واللف والنشر ومراعاة النظير والمذهب الكلامي وبراعة الاستهلال.

٥- تجليات الأنا في شعر ابن الفارض، عباس يوسف الحداد، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، قسم اللغة العربية بكلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٩٩م.

تناولت الدراسة البحث في خصوصية السمات الأسلوبية الفنية لتجليات الأنا في النص الشعري الصوفي عند ابن الفارض، ويرى الباحث أن تلك الأنا الصوفية تشكل مركز النص الشعري، فمنها منطلق الشعرية ومنبعها، وهي المصب في الوقت نفسه، واعتمد الباحث المنهج التطبيقي التحليلي للنصوص، في سعيه إلى تأكيد ما ذهب إليه من رؤى خاصة، واستنتج من دراسته صعوبة تحديد تعريف جامع مانع لهذا المفهوم «التجربة» اصطلاحياً في حقوق معرفية عديدة، لكن الدراسة كشفت عن وجه الخصوصية الذي يكمن في رؤية الصوفية بوجه عام للتجربة، إذ تتعلق لديهم التجربة بطبيعة الفكر الصوفي نفسه القائم على العرفان.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي خلقنا لمعرفته من خلال إبداعه وقدرته وحكمته، وعبادته لاستحقاقه، وإدراك جماله وكماله من قبل رؤيته، واستشعار جلاله في تجليات إشراق نوره في قلوب محبيه، وتقدم إليهم بمحبتهم قبل أن يحبوه، فقال سبحانه ﴿يُحُبُّهُمْ وَيُحِبُّوْنَهُ﴾.[٢] وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد العبد الشكور والنبي الصادق الأمين، حبيب المؤمنين، وسيد ولد آدم أجمعين، وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين، وبعد...

فقد يسر الله لي معرفة طرف من التصوف من منابعه لا من سلوك المتزيين بزيه ولم يردوا مناهله، وهيأ لي من يدلني على تلك المنابع لأستطيع فهم بعض حقائقه من خلال شعر أئمته ونثرهم، وإدراك قيمة الذوق العالي في شعر العاشقين، الذين خلت قلوبهم من غير حب الله عز وجل، وذلت نفوسهم لقضائه وخضعت لسلطان قدرته، وصفت أرواحهم لجلاله فاستشعرت جماله، وتعلقت بنوره عشقاً، وهفت إلى رؤيته شوقاً، وفنيت في

---

[٢] سورة المائدة: ٥٤.

حبه ذوقاً، فلم تعد لها غاية سواه، ولا هدف إلا رضاه، ولا منية إلا لقاه، وعلى رأسهم سلطان العاشقين الشيخ عمر بن الفارض، الذي سلبه حبُّ الله نفسَه فماتت عن سواه، وملك قلبه فلم يعد يخطر فيه إلاه، وأطلق حبُّه لسانه ليجود بأعذب الكلام في هواه، وشكوى تباريح الحب وحرقة الشوق، وقسوة الهجر ولذة الوصل، وأنس القرب ولذة المناجاة، وشدة الوجد وروعة التجليات، دون انحراف في الاعتقاد أو مساس بثوابت الشرع، أو تجاوز في الأدب عند الشهود والإمداد، فبقي عبداً غارقاً في عبوديته يناجي محبوبه في علو ربوبيته وجلال قدسه، في خشوع العابدين وخضوع العاشقين. وتجرد عن الهوى والرغائب.

وفي هذا البحث أتناول أحد عشر بيتاً الأولى من قصيدته التي مطلعها:

تِـهْ دَلالاً فأنتَ أهلٌ لِذَاكا   وَتَحَكَّمْ فَالحُسْنُ قَدْ أعطاكا

التي اختارها فضيلة د. أنس عبدو، لتكون مدار البحث، فعسى أن يعينني الله فأؤدي حق القصيدة من دراستها لغوياً،

والتعمق لفهم معطياتها الظاهرة والخفية، ومعانيها القريبة والبعيدة، واستنتاج الدلالات المقصودة، من غير لبس ولا إيهام، وربط مضامينها بالعلاقات العقدية والفلسفية والفكرية في بيئة التصوف وثقافة الشاعر، بدراستها من خلال المنهج التكاملي، سائلاً الله التوفيق والسداد، ولزوم الحق والرشاد، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

قبل الشروع في دراسة النص لا بد من التمهيد للدراسة بإضاءات حول المنهج الذي صدرت هذه القصيدة عن شاعر من أتباعه، بل من أعلامه، وهو الاتجاه الصوفي، الذي كثر السالكون والمؤيدون له في ذلك العصر، منذ عهد الجنيد البغدادي، وشيخه السري السقطي، إذ كثر أتباعه ومدارسه، وبرز فيه أئمة كإبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي ومعروف الكرخي، الذين شهد لهم معاصروهم من العلماء بالصلاح والتقدم في العلم والعمل، ثم تشكّل في مدارس على أيدي علماء عاملين، كالرفاعي والجيلاني والشاذلي وغيرهم ممن شهد لهم أهل العلم بالصلاح والولاية، كما نجد عند ابن تيمية، وهو من أشد المناوئين لبعض الصوفية إلى درجة بلغت حد التكفير، على رغم أنه بدأ حياته العلمية صوفياً، يقول: «وقد كنت لبست خرقة التصوف من طرف جماعة من الشيوخ، من جملتهم الشيخ عبد القادر الجيلي، وهي أجلُّ الطرق المشهورة. وقال مرة: فَأَجَلُّ الطرق طريق سيدي الشيخ

عبد القادر الجيلي، رحمة الله عليه»[٣]، وسلك في طريق التصوف علماء أفذاذ كسلطان العلماء العز بن عبد السلام بائع الملوك والأمراء، فضلاً عن السابقين كشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي الحنبلي صاحب كتاب «منازل السائرين» الذي شرحه ابن القيم تلميذ ابن تيمية في كتاب أسماه «مدارج السالكين»، وانتشر التصوف بين العامة والخاصة، حتى دخل فيه سلاطين المماليك ومن بعدهم سلاطين العثمانيين، وعضّد هذا الاتجاه ما أيد الله بعض سالكيه من الكرامات والخوارق واستجابة الدعاء سريعاً، فما نكاد نجد أحداً من العامة أو الخاصة إلا وله شيخ مرشد يربيه تربية أخلاقية تزكوية، وكان لهؤلاء المشايخ ومريديهم دورُهم الفاعل في الجهاد ضد الغزوين الصليبي والمغولي والفتوحات، فكان منهم السلطان قطز، والسلطان صلاح الدين الأيوبي، والسلطان محمد الفاتح. وفي العصر الحديث كان منهم الأمير عبد القادر الجزائري والمجاهد عمر المختار، والمجاهد عز الدين القسام، وغيرهم كثر.

والتصوف ليس مذهباً فقهياً كالحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي والظاهري، ولا عقدياً، كالمعتزلي والأشعري والماتريدي، وإنما هو تيار تعبدي تزكوي، كان ظهوره رَدَّ فعل على تيار اللهو والمجون والغناء الذي بدأ في العصر الأموي وازداد في العصر العباسي، وشمل أقدس مدينة في الإسلام وهي مكة المكرمة. فظهر أولاً في حالات فردية عكفت على العبادة والزهد، أَسَّس لها الحسن البصري، فكان هناك الفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وسفيان الثوري الذي قال: «لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء»[٤] وأبو هاشم عاش في نهاية القرن الأول، وتوفي عام ١٥٠هـ، وهذا يشير إلى زمن ظهور التصوف وإلى منهجه في التزكية، «وأول من بنى دويرة للصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد تلميذ الحسن البصري، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار، ولهذا يُقال: فقهٌ كوفي وعبادة بصرية»،[٥]

ابن الفارض
نسبه، شيوخه، سياحته، صفاته، شعره، المحسنات في شعره، شراح ديوانه، مضامين شعره[٦]

٣ بدء العلقة بلبس الخرقة، لابن المبرد، ص٤٨.
٤ اللمع للطوسي ص ٤٢، ٤٣، وينظر «الفتوحات الإلهية» لابن عجيبة الحسني ص٥٣.
٥ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١١، ص٥، ٦.
٦ هذه الدراسة مأخوذة من مقدمة محقق شرح ديوان ابن الفارض، لعبد الغني النابلسي، (بتصرف من الباحث، نظراً إلى طولها).

أبو حفص، أو أبو القاسم، شرف الدين عمر بن علي بن المرشد، الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، المعروف بابن الفارض، اشتهر بنسبه إلى بني سعد قوم حليمة السعدية، لكنه رأى رسول الله ﷺ في نومه، وقال له: بل أنت مني، ونسبك متصل بي. اختلف في مولده، وقال الحافظ المنذري، الذي التقاه وسمع شعره، وسأله عن مولده، فقال: «آخر الرابع من ذي القعدة سنة ست وسبعين وخمس مئة». وهو أول من أطلق على نفسه لقب «سلطان العاشقين» في قوله:

وملك معالي العشق ملكي وجندي الـ ـمعاني وكل العاشقين رعيتي

وقال ابن عماد الحنبلي، صاحب «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»: وليس سماع الفساق كسماع سلطان العاشقين. واشتهر في حياته بالأديب الفاضل، كما وصفه المنذري. قدِم أبوه من حماة إلى مصر، ونظراً إلى المعرفة بعلمه وصدقه وصلاحه وفقهه ومكانته عُيّن في نيابة الحكم، بوظيفة كتابة «القائمة» التي كانت تكتب للنساء من الحقوق عند الزواج وتوثق في الدواوين، فاشتهر لذلك باسم «الفارض». وكان عابداً، زاهداً، ورعاً. ثم ندبه الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين لشغل منصب قاضي القضاة، فرفض المنصب، وآثر الاعتزال في قاعة الخطابة في الأزهر ما بقي له من أنفاس، حتى لقي وجه ربّه. فهيأ له ذلك العناية بابنه عمر خير عناية، ما يعني أن أباه أول شيوخه الذين جمعوا صفات غزارة في العلم، وزهداً في الدنيا، وورعاً وتقوى. ولم يكتف بذلك؛ وإنما كان يدفعه إلى مجالس العلم، ويأذن له في السياحة.

شيوخه:

تغفل أكثر المصادر أسماء شيوخه؛ لكنها تذكر أنه أخذ الحديث عن أبي محمد القاسم ابن الحافظ المحدث المؤرخ أبي القاسم ابن عساكر صاحب «تاريخ مدينة دمشق». ولا ريب في تحصيل ابن الفارض علوم الدين واللغة بأصولها وفروعها؛ من أبيه القاضي المتفرغ للعلم والعبادة، وهو زاهد يدفع ابنه في مجالس العلم ومدارسه السائدة في القاهرة، ومجالس الحكم، كل ذلك وفر لابن الفارض قاعدة علمية تؤهله ليكون باباً فريداً في هذا النوع من الشعر، يعجز الشعراء عن صعود قمته نفسها، معتمداً على ما حصله من علوم. ولعل من أهم شيوخه الذين أثروا فيه أيما تأثير شيخه البقال علي أبو الحسن، صاحب الفتح الإلهي والعلم الوهبي، وهو الذي لم يدرّسه في كتّاب، ولم يجزه في مروياته، ولم يعرف عنه ابن الفارض شيئاً إلا أنه استخلفه. ينقل علي سبط ابن الفارض في «الديباجة»، عن خاله محمد عن جده ابن الفارض حديثه عن أهم سياحة تجرد لها، في أهم مراحل عمره،

الذي بلغ فيه ذلك الوقت قرابة الثامنة والثلاثين سنة، فيقول: حضرت من السياحة إلى المدينة، فوجدت رجلاً شيخاً بقالاً على باب المدرسة يتوضأ، غسل يديه، ثم غسل رجليه، ثم رأسه، ثم غسل وجهه. فقلت له: يا شيخ، أنت في هذه السن، وأنت في دار الإسلام على باب هذه المدرسة، بين فقهاء المسلمين، وأنت تتوضأ وضوءاً خارجاً عن الترتيب الشرعي؟! فنظر إلي وقال: لم أتوضأ إلا مرتباً، ولكنك لا تبصر، لو أبصرت لأبصرت هكذا، وقال: يا عمر، أنت ما يفتح عليك في مصر؛ وإنما يفتح عليك بالحجاز، في مكة شرفها الله تعالى، فقد آن لك وقت الفتح؛ يا عمر أنت ما يفتح عليك بمصر. فعلمت أن الرجل من أولياء الله تعالى، وأنه يتستر بالمعيشة – وهي بيع البقل – وإظهار الجهل بترتيب الوضوء. فجلست بين يديه، وقلت له: يا سيدي، وأين أنا وأين مكة، ولا أجد ركباً، ولا رفقة، وفي غير أشهر الحج. فنظر إلي، وأشار بيده، وقال لي: هذه مكة أمامك. فنظرت معه فرأيت مكة شرفها الله تعالى. فتركته وطلبتها امتثالاً. فلم تبرح أمامي إلى أن دخلتها في ذلك الوقت. وجاءني الفتح حين دخلتها، وترادف ولم ينقطع. قال سبط الشيخ: وإلى هذا الفتح أشار رضي الله عنه في القصيدة الدالية حيث قال:

يا سميري روِّح بمكة روحي   كان فيها أنسي ومعراجي وقدسي
شادياً إن رغبت في إسعادي   ومقامي المقام والفتح بادي

سياحته:

السياحة رحلات يقوم بها الصوفية السائرون إلى الله عز وجل، في القفار أو الجبال أو الأودية أو التخوم أو الثغور، بعيداً عن عيون الخلق الراصدة، متفردين بمن أوقد في قلوبهم جذوة الحب التي لا تستطيع مغريات الأرض ووسائلها وأهلها أن تخمد حرّ لهيبها، فقد حوّل الحب والذكر والوصال والأحوال المختلفة الآلام إلى ملذات، والشدائد إلى مسرات، واستسلموا للحب الإلهي حتى تلاشوا فيه؛ فالموت فيه حياة، والفناء فيه خلود؛ ذلك لما كوشفوا بجمال الملكوت الأعلى وجلاله في سياحة الخلوات، فقطفوا ثمار ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾[٧]. وقد اشتهر من السياح إبراهيم بن أدهم، وعبد القادر الجيلاني، وذو النون المصري، والغزالي، والجنيد البغدادي، وأبو الحسن الشاذلي، وعمر بن الفارض، وغيرهم. وللسياحة في جبل المقطم إغراء للصوفيين، وأمان للخائفين الهاربين والمستضعفين؛ فهو قبل أن يضم رفات الصالحين، ومعارج أرواح المحبين إلى محبوبهم، فيه «غرس الجنة» كما ذكر ابن الفقيه في «البلدان»، فقد سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم كله بسبعين ألف

---

٧ سورة الذاريات: ٥٠.

دينار. فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب فقال له: سله لم أعطانا بها وهي لا تستنبت ولا تزرع؟! فقال: إني أجد في الكتب أن فيه غرسَ الجنة. فأعلم عمروٌ عُمَرَ ذلك، فكتب إليه: إنا لا نعلم غراس الجنة إلا للمؤمنين، فاقبر فيه من مات من المسلمين، ولا تبعه بشيء. فكان أوّل قَبْرٍ قُبر فيه رجل يقال له عامر فقيل عَمَرتْ. ولقد عمرت بالمساجد والمدارس والقبور، والصالحين، والعلماء، والعباد، والأولياء. وإليه هفت سياحة ابن الفارض فتىً، وشاباً، وعلى أبواب الكهولة. وإليه سمت روحه قبراً، في موضع مرشده الذي لم يكن يعرفه قبل أن يفتح عليه، موضع مراكع موسى عليه السلام. يروي سبط ابن الفارض عليٌّ في «ديباجته» حديث جده عن نفسه: «كنت أول تجريدي أستأذن والدي وأطلع إلى وادي المستضعفين بالجبل الثاني من المقطم، وآوي فيه، وأقيم هذه السياحة ليلاً ونهاراً». فكان يمضي أياماً في خلواته، ثم يعود إلى والده القاضي، القائم بأعباء نيابة الحكم، فيحضّره مجالسه، ويدفعه إلى مجالس العلم. وحين تتوق النفس إلى لقاء حبيبها من جديد، بعيداً عن أعين الرقباء، يعاود ابن الفارض سياحته طالباً فتحاً ووصالاً، وهكذا يفعل فترة طويلة من عمره، حتى بعد وفاة أبيه. إذ انقسمت سياحته إلى مرحلتين: الأولى في جبل المقطم، أخذ فيها نفسه بالمجاهدة بأنواع العبادات والرياضات، وكانت تحت أنظار أبيه، ثم استمر بها بعد وفاة أبيه. والثانية تبدأ بعد لقاء البقال، الذي ما كان ابن الفارض يعلم من حقيقة أمره شيئاً. وكانت هذه المرحلة بجوار مكة بين أوديتها وجبالها، في الفلاة، بين الجبال، والفضاء، مع النسك، والعفة، وصوم النهار، وإحياء الليل، والتورّع والزهد والصلاة في الحرم، والطواف حول الكعبة، والتعبد، والتهجد، والتفكّر، والرياضات جميعها، ودوام الوصل، كل ذلك خلّص النفس من ماديتها، ووجه سلوكها، وربطها بخالقها، وأسعدها بوصال محبوبها، وسخر لها كل شيء. يتابع ابن الفارض قوله السابق واصفاً ما جرى معه في سياحة تلك المرحلة: «ثم شرعت في السياحة في أوديتها، وجبالها وكنت أستأنس فيها بالوحش ليلاً ونهاراً. أقمت بواد كان بينه وبين مكة عشرة أيام للراكب المجد، وكنت آتي إلى مكة منه كل يوم وليلة خمس مرات، وأصلي في الحرم الشريف الصلوات الخمس، معي سبع عظيم الخلقة، يصحبني في ذهابي وإيابي، وينوخ لي كما ينوخ الجمل، ويقول لي: يا سيدي اركب. فما ركبته قط، ويقول يشير إليّ – وسمعوا قوله – يا سيدي اركب. فما ركبته قط». وكما بدأت رحلته السياحية بأمر الشيخ الذي لم يأمره إلا أمر السياحة بدأت رحلة العودة بأمر الشيخ نفسه بعد خمس عشرة سنة. فعلى صوت الشيخ أبي الحسن البقال: مكة أمامك وجد مكة أمامه وجهاً لوجه، وأقام فيها خمس عشرة سنة، وفتح عليه وكوشف بها، وألف معظم أشعاره وأهمها بها، قال: «وبعد خمس عشرة سنة سمعت الشيخ يناديني، وأنا بين جبال مكة وأوديتها: يا عمر، تعالَ احضر وفاتي

وانتقالي إلى الله، وصلِّ علي. فأتيته مسرعاً إلى القاهرة، فوجدته يحتضر، فسلمت عليه، وسلّم علي. وناولني دنانير ذهب، وقال لي: جهزني، وأعط حملة نعشي إلى القرافة كل واحد ديناراً، واتركني على الأرض في هذه البقعة، وأشار إليها بيده، فلم تزل بين عيني أنظر إليها، وهي بالقرافة تحت المسجد المعروف بالعارض، بالقرب من مراكع موسى عليه الصلاة والسلام، بسفح المقطم عند مجرى السيل منه، وانتظر قدوم رجل يهبط من الجبل، فصل أنت وهو علي، وانتظر ما يفعل الله في أمري».

صفاته:

بعد عودته من مكة واستخلاف الشيخ البقال له اشتهر ابن الفارض بين الناس بصفاته الحسنة الكثيرة، التي يذكرها

الشيخ النابلسي في سياق ديباجة السبط، نذكر بعضها: «كان حسن الصحبة والعشرة، رقيق الطبع، يعشق الجمال، مهيباً سخياً، معتدل القامة، وجهه جميل، يمتاز بحمرة ظاهرة، وله نور في وجهه. ثيابه حسنة، ورائحته طيبة، لا يقبل مالاً؛ وقد ردّ ألف دينار من الملك الكامل. ينفق على من كان يرد عليه من الفقراء، ويعشق الجمال، ويطرب لسماع ما يشدّه إلى محبوبه الأوحد إلى درجة الغياب عن الوعي أحياناً مدة طويلة. وإذا حضر مجلساً ظهر على المجلس السكينة والوقار، وفي مجلسه ترى جماعات من المشايخ والعلماء والفقراء ورجال الدولة وسائر الناس، وكلهم في غاية الأدب معه والتواضع بين يديه. وإذا مشى في المدينة تزاحم الناس عليه يلتمسون منه البركة والدعاء، ويلتمسون تقبيل يده فلا يمكّن أحداً من ذلك؛ بل يصافحه. احترمه أرباب الدولة الأيوبية إلى درجة كبيرة، فيستأذنه الملك الكامل في تجهيز ضريح لأمه عند قبة الإمام الشافعي، فلم يأذن له. ثم طلب منه أن يجهز مكاناً يكون مزاراً له بعد موته فرفض. وفي الشعر صار محكّماً، كما فعل بين محمد بن الخيمي ونجم الدين بن إسرائيل».

يجمع أكثر من أرخ لابن الفارض أن وفاته كانت في الثاني من جمادى الأولى (٦٣٢) هـ ثم دفن في اليوم التالي بالقرافة في موضع البقعة التي صلّى فيها على شيخه البقال، حيث مراكع موسى عليه السلام، وذلك بحسب وصيته، في سفح المقطم تحت المسجد المعروف بالعارض. ولسبطه علي صاحب الديباجة أبيات في ذلك، يقول:

جز بالقرافة تحت ذيل العارض   وقل السلام عليك يا بن الفارض

أبرزت في نظم السلوك عجائباً   وكشفت عن سر مصون غامض

وشربت من بحر المحبة والولا   فرويت من بحر محيط فائض

وقال أبو الحسين الجزار

لم يـبـق صيِّب مـزنـة إلا وقد   وجبت عليه زيارة ابن الفارض

لا غـرو أن يسـقي ثراه وقبره   باق ليوم العرض تحت العارض

وقد أعقب ابن الفارض ابنه محمداً، سمع من أبيه ومن رواج، وأجازه المؤيد الطوسي وأبو روح وجماعة، وكتب عنه المصريون والبرزالي، وتوفي سنة (٦٨٩) هـ. لكنه لم يشتهر بالشعر. كذلك أعقب ابنه عبد الرحمن، إلا أننا لا نجد من أخباره شيئاً عند من ترجم لابن الفارض.

شعر ابن الفارض:

لابن الفارض أثر واحد وصل إلينا، لا ثاني له، وهو ديوانه. وهو ليس بكبير الحجم، لكنه حظي باهتمام شديد؛ حفظاً وشرحاً وتداولاً، ابتداء من حياة الشاعر حتى الساعة؛ ففي أثناء وجوده في مكة كانت قصائده تنشد على المآذن، وكذلك في سائر الأمصار إلى اليوم لا تزال قصائده تتلى في المجالس على طول البلدان وعرضها. وكان ديوانه يُحفّظ للطلاب صغاراً وكباراً في المدارس وكتاتيب المشايخ. وقد برع ابن الفارض في فنون الشعر، وأوتي حساً شعرياً مرهفاً عالياً، وتمكناً من نواصي اللغة، وبراعة في اختيار الألفاظ، وروائع التركيب، وحسن الصورة وإبداعها. يضاف إلى ذلك أنه كان يمتلك حسّاً نقدياً متميزاً تمكن فيه من الحكم بين الشعراء لما احتكموا إليه، كابن الخيمي وابن إسرائيل؛ فقد ادعى ابن إسرائيل إحدى قصائد ابن الخيمي، واحتكما إلى ابن الفارض، فطلب من كل منهما أن ينظم على وزن معين وقافية محدّدة، وفاضل بين شعر كلا الشاعرين، ثم أصدر حكمه أن القصيدة لابن الخيمي، وإثرها ترك ابن إسرائيل مصر نهائياً.

يقول خير الدين الزركلي في ترجمة ابن الفارض في كتاب «الأعلام»: أشعر المتصوفين، يُلقب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتصل بما يسمى وحدة الوجود. ولعل الزركلي، حدد مكانة ابن الفارض الشاعر الكبير بين شعراء الصوفية كلهم، ولو استعرضنا أكثر من كتب عنه لما وجدنا من يأتي بأكثر من هذه العناصر الثلاثة: الخصائص الفنية لشعره، والمعاني التي تناولها الحب الإلهي، وفلسفة ابن الفارض في عشقه. إن شعر ابن الفارض يعبر عن تجربة ذاتية ومعاناة ومواجد حركت كوامن الشعر عنده، فانساب يحمل ما عاناه ولمع في فكره بمنتهى الذكاء والدقة، وذلك في أرفع ثوب فن من أفانين الشعر السائدة في عصر زاخر بالثقافات والأفكار، التي يلونها أبناء هذا العصر بألوان الزخارف الفنية فيه، بيانية معنوية أو بديعية، لكن ابن الفارض يؤدي ذلك بأرق عبارة وألطفها، مع إغراق في شحن العبارة بعواصف العواطف الفياضة، لتجعل بناء الصورة الشعرية عنده متصاعداً

حتى ذروة الانفعال والإتقان والجمال، فيبز أقرانه من شعراء التصوف، كجلال الدين الرومي والسهروردي والحلاج، ولا يدركه محمد بن الخيمي وابن إسرائيل، فقد تجاوز في معانيه عشق البشر أمثال مجنون ليلى، وجميل بثينة، وكثير عزة، ومن لف لفهم، وذاب في محبوباتهم، من رمز الجمال عند البشر إلى ذرا لم يدركوها من أسرار العشق لجمال ربّ البشر عشقاً يليق بجماله وجلاله. وقد أدى معانيه برقة وخيال بأعلى مقام الإتقان والحرفية، كحرفية المتنبي ورمزية أبي تمام، وإيقاع جرس البحتري العذب الأخاذ؛ كل ذلك مسخر لبيان مدى الإيغال في الحب، وجذب الجمال، ودلال المحبوب، وأحوال المحب، وآثار الحب، وارتقاء المحبوب.

ويرى المقدسي أنه: نشأ في عصر بلغت فيه الأناقة البديعية نثراً ونظماً أعلى درجاتها، فهو عصر القاضي الفاضل، والعماد الأصبهاني، وبهاء الدين زهير، وابن سناء الملك... قد عُرفت هذه الطبقة جميعها بولعها الشديد بالصناعة اللفظية، ومع تكلف أنواع البديع، امتاز شعر ابن الفارض برقة اللفظ مع الجزالة والمتانة، ودقة المعنى، وعمق الفكرة والسلاسة، وبصدق الحس، وسلامة الأسلوب وبعد الخيال، والإغراق فيه، وجمال الصورة. (هذا من الناحية الفنية). أما من الناحية الصوفية فكان ديوانه ثمرة صالحة، ذات نزعة صوفية واضحة لما امتازت به نفس الشاعر من رقة الشعور، ودقة الحس، وسمو العاطفة التي سيطرت على نفسه سيطرة قوية... فإذا هو يقضي حياته مقبلاً على محبوبه كلفاً به مشوقاً إليه، مفنياً نفسه فيه، حتى ظفر من هذا كله بما قرت به عينه، واطمأن إليه قلبه، من اتصال ووصال، وكشف للحقيقة المطلقة التي

هي عنده كل شيء في هذا الوجود، وإليها يرد كل موجود، ومن هنا كان ديوانه أنشودة جميلة من أناشيد الحب، وهتافاً

صادقاً رددته نفس الشاعر في رياض القلب.

المحسنات في شعر ابن الفارض:

اعتنى ابن الفارض في ديوانه بعلوم البلاغة؛ بيانها وبديعها، لكنه ساقها ببراعة الفنان ومقدرة الشعراء الكبار، حتى إنه يبدو كأنما كان يسوقها عفو الخاطر، وإن الدارس المدقق لانتشار هذه الفنون في شعر ابن الفارض يرى زيادة في فنون البديع عنده عن غيرها؛ فهي تشكل نسبة ٦٢ في المئة من البيان والبديع، كما ذهب إليه مصطفى عبد القادر مصطفى من الله، في رسالته «البديع في شعر ابن الفارض» في حين يبلغ البيان ٣٨ في المئة.

شرّاح ديوان ابن الفارض:

كثر شراح الديوان في الشرق والغرب، منهم مَنْ أحصاه العلماء، ومنهم من لم يحصوه؛ ذكر منهم بروكلمان عدداً كبيراً. وشراحه في الغرب ذكرهم جوزيف سكاتولين، (وقد ذكرهم المحقق، لكن لا يتسع البحث لذكرهم).

مضامين شعر ابن الفارض:

يصور ابن الفارض، في حبه الإلهي، أطوار المحبة الإلهية، ويكتشف عجائب الحب، وحقائق المعرفة، ويتذوّق عطاءات التجليات. وقد قسم بعض الباحثين أطوار المحبة الإلهية عند ابن الفارض إلى ثلاثة أطوار: الأول فناء المحب عن حظوظه وعلائقه، والثاني فناؤه عن ذاته وعن كل شيء، ويريد ألا يكون شيئاً. والطور الثالث أصبح فانياً عن نفسه باقياً بمحبوبه.

ويرى بعض الباحثين أن شعر ابن الفارض ليس كله صوفياً أو في الحب الإلهي. ويعلل ذلك بالمعاني الموجودة في بعض الأبيات، وبأن حياة الشاعر الأولى حياة عادية، شأنه شأن أي شاب في شبابه الأول، فقد أحب امرأة قاض وتغزل بها، ويستشهد الباحث بقول ابن الفارض:

أهوى مهفهفاً ثقيل الردف　　كالبدر جل حسنه عن وصف

يعني عنده أن الشاعر يحب امرأة هذه أوصافها، ويعترض الباحث بأنه لا يعقل أن يكون شعره هذا صوفياً، وينتقد إصرار النابلسي على كون هذا الشعر في الحب الإلهي؛ فتفسير النابلسي الردف بالتجليات الإلهية في الكون غير مقبول عنده، وإنما الوصف للمرأة الحقيقية. يقول النابلسي في شرح الديوان معلّقاً على البيت كله: «يكني عن صورة التجلي

الإلهي من حيث الأسماء الجمالية في حقيقة الروح الأعظم الذي هو أول مخلوق... ثم يضيف: والإشارة بثقل الردف إلى جميع العوالم المكتوبة بالقلم في اللوح الذي هو نفس القلم بالنور المحمدي المخلوق فيه ومنه كل شيء. والواقع إذا سلمنا أن يعيش المرء حياة الشباب الأولى بلهوها وصحبها ومتعها فهذا أمر طبيعي في مثل هذا الاعتراض للباحث المشار إليه، إلا أن شاباً نشأ نشأة علمية دينية في طاعة الله عابداً زاهداً، ويخرج للسياحة مبكراً، ويحب امرأة متزوجة! فهذا أمر شنيع ليس إلا لمتهتك، وامرأة قاضٍ! فذلك أشنع، سواء بادلته الحب أم لم تعلم به، أو علمت ولم تلتفت إليه. أم أنه أنشد الأشعار الغزلية بالمرأة بعدما تمكن من فن الشعر بعد خلواته بمحبوبه، هذا المحبوب الذي لم يبق معه في قلب ابن الفارض أحد؟ الأمر بعد بحاجة إلى بحث وتدقيق أكثر من جهدي ومن جهد الباحث ومن جهد كثير من الباحثين.

ولا بد من ملاحظة أن المهفهف ذا الأرداف الثقيلة، والعجيزة الكبيرة، وريا العظام، ورُجُحُ الروادف، مع رهافة الخصر حتى يدخل الخصر في خاتم المرأة نفسها، وتزيد سعة الخاتم عن خصر محبوبات الشعراء العرب القدماء، هذه الأوصاف كلّها من صميم أوصاف الشعراء العرب الفنية، ولهذه الأوصاف رمز صوفي خاص يشير إليه شراح التصوف. وثمة قضية أخرى لابد من الإشارة إليها عندما يغوص المرء في شعر ابن الفارض وأفكاره ومعانيه، ألا وهي أن حبه الإلهي متأثر بقضايا الحب الإلهي من الثقافات الأخرى، غربيها أو شرقيها، للأمم السابقة، شأنه شأن تأثر التصوف الإسلامي كله. إن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي في بناء الشخصية الإسلامية وكذلك في بناء الفكر الإسلامي عبر تاريخ الإسلام الطويل؛ وهو الذي يكرس فكرة الحب الإلهي أو عدم الحب في كثير من الآيات المباركة، ويرسم أسس المحبة، ونظامها من خلال كم كبير من الآيات التي تتحدث عن المحبة وعلائقها، ومما ضرع به إلى ربه أكمل بني البشر سيدنا محمد ﷺ بطيب المناجاة في أعطر الدعاء، وأجل الذكر، وأظهر العبودية، وأصرح أفانين العشق الإلهي؛ قوله ﷺ مناجياً ربه: ﴿اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي في ما تحب﴾. (سنن الترمذي، برقم ٣٤٩١). ومنه: ﴿اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إليّ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم فاقرر عيني من عبادتك (الحلية، أبو نعيم، ٨/ ٢٨٢).

الـنـصّ موضع الدراسة[٨]

٨ ديوان ابن الفارض، ص١٥٦.

تِهْ دَلالاً فَأَنْتَ أَهْلٌ لِذَاكَا   وَتَحَكَّمْ فَالحُسْنُ قَدْ أَعْطَاكَا
وَلَكَ الْأمرُ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ   فَعَلَيَّ الْجَمَالُ قَدْ وَلّاكَا
وَتَلَافِي، إنْ كَانَ فِيْهِ ائْتِلافِيْ   بِكَ، عَجِّلْ بِهِ، جُعِلْتُ فِداكَا
وَبِمَا شِئْتَ فِيْ هَوَاكَ اخْتَبِرْنِيْ   فَاخْتِيَارِيْ مَا كَانَ فِيْهِ رِضَاكَا
فَعَلَى كُلِّ حَالَةٍ أَنْتَ مِنِّيْ   بِيَ أَوْلَى إذْ لَمْ أَكُنْ لَوْلَاكَا
وَكَفَانِيْ عِزّاً بِحُبِّكَ ذُلِّي   وَخُضُوْعِيْ وَلَسْتُ مِنْ أَكْفَاكَا
لَكَ فِيْ الْحَيِّ هَالِكٌ بِكَ حَيٌّ   فِيْ سَبِيْلِ الهَوَى اسْتَلَذَّ الْهَلَاكَا
بِجَمَالٍ حَجَبْتَهُ بِجَلَالٍ   هَامَ وَاسْتَعْذَبَ الْعَذَابَ هُنَاكَا
وَإِلَى عِشْقِكَ الْجَمَالُ دَعَاهُ   فَإِلَى هَجْرِهِ تُرَى مَنْ دَعَاكَا
كُلُّ مَنْ فِيْ حِمَاكَ يَهْوَاكَ لَكِنْ   أَنَا وَحْدِيْ بِكُلِّ مَنْ فِيْ حِمَاكَا
يُحْشَرُ الْعَاشِقُوْنَ تَحْتَ لِوَائِيْ   وَجَمِيْعُ الْمِلَاحِ تَحْتَ لِوَاكَا

شرح المفردات:

تِهْ: فعل أمر من الفعل تاهَ يتيهُ تيهاً: تكَبَّرَ.[٩] دلالاً: دَلَّ عَلَيْهِ وتَدَلَّلَ: انْبَسَطَ، وَفُلَانٌ يُدِلُّ عَلَيْكَ بِصُحْبَتِهِ إِدْلالًا ودَلالًا ودَالَّة: أَي يَجْتَرِئُ عَلَيْكَ، كَمَا تُدِلُّ الشابَّةُ عَلَى الشَّيْخِ الْكَبِيرِ بجَمالها[١٠]. والدلال أن تظهر المحبوبة جرأة كأنها تخالف وما بها خلاف.[١١] أهل للأمر: مستحق له، ولائق به، وذو قدرة عليه.[١٢] تَحَكَّم في الأمر: احتكم واستبدَّ.[١٣] تلاف: من تَلِفَ يَتْلَفُ تَلَفاً: هَلَكَ وعَطِبَ فهو تلف وتالف، ويقال ذهبت نفسه تلفاً أي هدراً.[١٤] اِئْتَلَفَ اجتمع.[١٥] أَولى: أَحَقُّ.[١٦] الكفء والكُفُؤ: المثيل والقرين، تكافأ الشيئان تماثلا واستويا.[١٧] ولاه:

٩ لسان العرب، ابن منظور، مادة تيه.
١٠ لسان العرب، ابن منظور، مادة دلل.
١١ المعجم الوسيط، مادة دلل.
١٢ لسان العرب، ابن منظور، مادة أهل.
١٣ المعجم الوسيط، مادة حكم.
١٤ المعجم الوسيط، مادة تلف.
١٥ المعجم الوسيط، مادة أَلِفَ.
١٦ المعجم الوسيط، مادة ولي.
١٧ المعجم الوسيط، مادة كفأ

ملَّكَهُ وأَمَّرَهُ.[18] حي (الأولى): البطن من بطون العرب، أو القبيلة، يقال حي من أحياء العرب[19]. وفي المدن: البيوت المتقاربة، والحي الثانية نقيض الميت[20]. هَالِكٌ: اسم فاعل من هَلَكَ، مات، وهلك المال: تَلِفَ.[21] اللواء: العلم يرفع للأمير، والراية ولا يحملها إلا صاحب الجيش (قائده).[22]

تِـهْ دَلَالاً فَأَنْتَ أَهْلٌ لِذَاكَا   وَتَحَكَّمْ فَالحُسْنُ قَـدْ أَعْـطَـاكَا

يخاطب الشاعر محبوبه – وهو الله عز وجل – فيقول: تكبَّر عليّ تعززاً وعاملني بتعالٍ وفوقيّةٍ كما شئت، فإن ذلك استحقاق لك بألوهيتك وعظمتك كونك خالقي، وأنني مخلوق عبد مملوك لك، ولك حق التحكم بي وبما شئت لي، فاستبدّ كما شئت؛ بالهجر متى شئت والوصل متى أردت، فإن سلطان جمالك، الذي ملك قلبي وخضعت له بكليتي، قد خوّلك حق التحكم والاستبداد، فتعطي وتمنع، وتصل وتقطع، وليس لي إلا الرضا فكل ما يأتي من الحبيب حبيب مرضيّ.

وَلَكَ الْأَمْرُ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَـاضٍ   فَـعَـلَيَّ الْجَـمَـالُ قَـدْ وَلَّاكَـا

والأمر كله لك وحدك أنت على إطلاقه، وليس لي أو لغيري منه شيء، فأنت لك الحكم المحقق وأنا المحكوم الخاضع، فاحكم بما شئت عليَّ، واختر في أمري ما ترضى لا ما أشتهي، ولا اعتراض لي على حكمك، لأن جمالك المطلق الذي بلغ أعلى درجات الكمال قد جعلك حاكماً عليّ بعشقي له وفنائي فيه، تستبد كما شئت وليس لي إلا الرضا.

وَتَلَافِي، إنْ كَانَ فِيْهِ ائْتِلافِيْ   بِكَ، عَجِّـلْ بِـهِ، جُعِلْتُ فِداكَا

فإن كان موتي وخروجي من الدنيا إلى عالم البرزخ سيجمعني بنورك فألقاك وأراك وأسمعك وأروي ظمأ وجدي بك، وأطفئ غليل شوقي إليك، وأهنأ بقربك فعجّل به، فأنت المحيي المميت، وأنا يسرني ذلك الموت، فإنني العاشق الذي أقدم روحي على مذبح حبك، أفدي بها رضاك عني ولقاءك العزيز.

وَبِمَـا شِـئْتَ فِيْ هَـوَاكَ اخْـتَبِرْنِيْ   فَاخْـتِيَارِيْ مَا كَانَ فِيْـهِ رِضَاكَا

---

[18] المعجم الوسيط، مادة ولي.
[19] لسان العرب، ابن منظور، مادة حيي.
[20] لسان العرب، ابن منظور، مادة حيي.
[21] المعجم الوسيط، مادة هلك.
[22] لسان العرب، ابن منظور، مادة لوي.

لكل دعوى بينة أو دليل، وها أنا أدعي الفناء في حبك صادقاً، فاختبر حبي لك بالطريقة التي تشاء، ليستبين صدقي وإخلاصي فيه، ولست مختاراً وجه اختبار لأثبت ذلك، وإنما تختار أنت ما شئت من الامتحانات تختبر بها صدق حبي ومدى فنائي ودرجة إخلاصي لهذا الحب، أما أنا العاشق الهائم فإن الأمر الذي يرضيك والذي تقضي به هو اختياري.

فَعَلَى كُلِّ حَالَةٍ أَنْتَ مِنِّيْ   بِـيَ أَوْلَى إِذْ لَـمْ أَكُـنْ لَـوْلَاكَا

وهذا الاختيار ليس تكرماً مني، وإنما هو حق الخالق بالمخلوق، حق الصانع بالمصنوع، فأنت ربي ومولاي وسيدي ومالك أمري ومدبر شأني، وفي كل حال من أحوالي، وفي كل مرحلة من مراحل تكويني وحياتي كنتَ أنت القيوم الحافظ المقيت لي، تدبر أموري وتسيّر قدري، ولولاك لم أُوجَد من الأصل، فأنت أحق بي أنا المخلوق مني بنفسي، وأحكم في تدبير أمري وإدارة شأني.

وَكَـفَـانِيْ عِـزّاً بِحُـبِّكَ ذُلِّـي   وَخُضُوْعِيْ وَلَسْـتُ مِنْ أَكْـفَاكَا

أما أنا العبد الوضيع القَدْر أمام ربوبيتك، الضعيف أمام قوتك، العاجز أمام قدرتك، الفقير أمام غناك، الذليل أمام عزك، فحسبي من العز وعلو الشأن أنك رفعت قدري بأن جعلتني محباً لك بعظمتك وجلالك، ذليلاً لسلطان هذا الحب خاضعاً له لا أريد إلا رضاك، ولا غاية لي إلاك، فمننت عليّ بكل هذا ولم أكن يوماً أهلاً لمحبتك ومخاطبتك والطمع في وصالك، ولا جديراً بمقام هذا الفناء في حبك.

لَكَ فِيْ الْحَيِّ هَالِكٌ بِكَ حَيٌّ   فِيْ سَـبِيْلِ الْهَوَى اسْـتَلَذَّ الْهَـلَاكَا
بِجَمَـالٍ حَجَـبْتَهُ بِجَـلَالٍ   هَامَ وَاسْتَعْذَبَ الْعَذَابَ هُنَـاكَا

يا أيها المحبوب، إن في هذه الأرض عاشقاً لك ميتاً من فرط وجده في هجرك له، لكنه حي بك، إذ أنت الحي، وعاشق الحي حي لأنه يستمد الحياة من محبوبه، فحبك هو الذي يمده بالأمل بالوصل الذي هو الحياة الحقيقية، وهذ العاشق يجد كل اللذة في الموت فناءً في حب جمالك الذي تدرك كنهه البصائر وإن حجبته عن الأبصار بجلالك الذي ترتعد من هيبته القلوب وتخضع له الرقاب وتعنو له الوجوه، ويجد العذاب في معاناته في الشوق إلى جمالك عذباً يلذ له، لأنه في طريق هذا الحب العظيم للمحبوب الأعظم.

وَإِلَى عِشْـقِكَ الْجَمَـالُ دَعَـاهُ   فَإِلَى هَجْـرِهِ تُرَى مَـنْ دَعَـاكَـا

هذا الهائم بك، الذي جذبه جمالك الذي ليس له مثيل، فأحبك حباً تشابك فيه قلبه وجمالك، ولم يتزلف إليك طمعاً في أمر نفعي، وإنما هو عشق جمالك، فأي أمر يا تُرى دعاك إلى هجره وحجب جمال أنوارك عنه؟

كُـلُّ مَنْ فِيْ حِمَـاكَ يَـهْوَاكَ لَكِنْ   أَنَـا وَحْـدِيْ بِكُلِّ مَنْ فِيْ حِمَـاكَا

صحيح أن كل من هديتهم إليك ودللتهم عليك وأدخلتهم في دائرة الإيمان والمعرفة بك يعشقونك، لكنني، يا حبيبي، وحدي المتفرد في درجة هذا الحب وغلوي فيه، حتى إن حبي لك يعدل حبهم كلِّهم لك مجتمعاً.

يُحْشَـرُ الْعَـاشِـقُوْنَ تَحْتَ لِوَائِيْ   وَجَمِـيْعُ الـْمِلَاحِ تَحْتَ لِـوَاكَـا

وكما تُرفع راية للقائد المتفرد المتميز على بقية القادة، ليكون مقدمهم، فأنا المتفرد المتميز بفرط عشقي لك من بينهم، فإذا كان اللقاء يوم الحشر فإني لا ريب عندي في أنني سأكون أول العاشقين ومقدمهم إلى حضرة جنابك، أعطى راية العاشقين لينضووا جميعاً تحتها وفداً إليك بقيادتي، كما ينضوي الجمال كل الجمال مجتمعاً في إشراق نور ذاتك العلية، فأنت الجمال الذي عشقه العاشقون وهام به أهل الوجد.

منذ القراءة الأولى للنص يتضح لنا الاتجاه الشعري الذي ينتمي إليه وهو «الحب الإلهي»، وهو من الاتجاهات الفكرية والذهنية للتصوف. والسمة العامة للأبيات هي انتماؤه إلى الشعر الوجداني. وأول ما يلفت الانتباه في هذه الأبيات هو الحضور الذهني لابن الفارض مع هيامه وحزنه على هجر حبيبه عز وجل، فهو مع شكواه تباريح وجده، ومع تذلله في استعطافه، وخضوعه في استعتابه، يغرف من النبع الصافي الرائق، في إشارات جميلة ولافتة من القرآن الكريم والسنة النبوية، والفكر الصوفي، بلا تكلف، كقوله: «تِـه» أي تَكبَّر «فأنت أهل لذاك» أي المستحق، و«المتكبِّر» من أسماء الله الحسنى مستحَق له، ورد في سورة الحشر، وفي الحديث الشريف: ﴿الْعِزُّ إزارُهُ، والْكِبْرِياءُ رِداؤُهُ﴾.(٢٣) وقوله «وتحَكَّمْ»، وهو من دلالات اسمه عز وجل «القيوم»، قال ابن جرير: «القيّم بحفظ كلّ شيءٍ ورزقه، وتصريفه في ما شاء وأحبّ»، إلا أن الشاعر هنا يتعامل مع الفكرة تعامل المحب الراغب لا العبد الراهب، فيصرف ذلك إلى سلطان الحسن والجمال، لا إلى سلطان الربوبية، لأن قهر الربوبية قلَّ أن يقابل برضا المقهور، أما قهر الحب فإن المحب يرضى به، كما في قول عنترة:

فلولا الهوى ما هان مثلي لمثلهم   ولا خضعت أسد الفلا للثعالب(٢٤)

---

٢٣ صحيح مسلم، برقم: ٢٦٢٠. الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.
٢٤ ديوان عنترة، ص٣٥.

ويجري مجرى ذلك قوله: «ولك الأمر» وهو من قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[٢٥] ثم يقول: «فعليّ الجمال قد ولاكا» وإنما ولّاه وملكّه أنه هو خالق الخلق أجمع، وهو المدبر لشؤونهم، والقاهر فوق عباده، لكن الحال التي وصل إليها ابن الفارض من الحب الإلهي والهيام فيه أنسته كل الأسباب إلا الذي يهيمن عليه وهو الحب، فجعلته يختاره لأن فيه الرضا، وعموماً فإن تملّك الله لعباده حق، وهو معلوم يقيناً من حيث هو عز وجل، أما من حيث العباد ففي العلم واليقين به تفاوت، بحسب إقرار العبد، فالملحد لا يرى أنه مملوك لله يتحكم به، والقدري لا يرى أن الله يرسم له أقداره، وكثير من الناس يؤمنون إيمان القدرية، أي يؤمنون بالله لكنهم يربطون كل أفعالهم بقدراتهم وحدها لا بقدر الله عز وجل، أما أهل التصوف فعقيدتهم:

نحن والخلائق كلنا عبيد   والإله بنا يفعل ما يريد

وفي قوله: «وتلافي إن كان فيه ائتلافي بك عجل به» له مستنده في قول النبي ﷺ: ﴿واعلموا أَنَّكُم لن تَرَوا ربَّكُم حتَّى تموتوا﴾.[٢٦] فهو يرغب في الموت لأجل اللقاء، وفي قوله: «فاقض ما أنت قاض» إشارة إلى الآية، في قول السحرة حين توعدهم فرعون بالصلب عند توبتهم: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيا﴾.[٢٧] وفي استحضار ابن الفارض اللفظ هنا، كأنه يقول لله عز وجل، إن كان قد قيل لفرعون البغيض هذا القول، فأنت أحق به وأولى، لأنك الحبيب الذي يرضيني كل ما يصدر عنه. وفي قوله «فاختياري ما كان فيه رضاكا» إشارة إلى مقولة ترددت على ألسنة الصوفية، بدءاً بالشيخ أحمد الرفاعي، الذي قال: «أريد ألّا أريد، وأختار ألّا أختار»، وجرت العبارة على ألسنة غيره بصيغ مختلفة، كأبي الحسن الشاذلي وابن عطاء الله السكندري وغيرهم. وقوله: «أنت مني بي أولى» يشير إلى قول أهل التصوف، عن معنى على لسان الحق عز وجل:

لا تـدبّـر لك أمـراً   نحن أولـى بك مـنـكـا
فاترك التدبير تنجو   فذوو التدبير هلكى [٢٨]

ولابن عطاء الله السكندري كتاب بعنوان «التنوير في إسقاط التدبير». وقوله: «ولست من أكفاكا» قول حق، وهو وصف الله عز وجل لنفسه ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.[٢٩]. وقوله: «لك في الحي هالك بك حي» مما دارت عليه ألسنة أهل التصوف، ومنه قول الشيخ أحمد الرفاعي:

---

[٢٥] سورة الأعراف: ٥٤.
[٢٦] الغنية في مسألة الرؤية، ابن حجر العسقلاني، ٢٤/١. الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.
[٢٧] سورة طه: ٧٢.
[٢٨] ديوان اليافي، ص٨١.
[٢٩] سورة الإخلاص: ٤.

أموت إذا ذكرتُكَ ثم أحيا ولـولا مـاء وصـلك ما حـييتُ

فأحيا بالمنى وأموت شوقاً فكم أحيا عليك وكم أموت[٣٠]

وفي قوله: «أنا وحدي بكل من في حماكا» إشارة إلى التفرد والتميز عن غيره، وهو أمر وارد في الشرع، في قول النبي ﷺ في زيد بن عمرو بن نفيل: ﴿يُبْعَثُ أُمَّةً وحْدَهُ يَوْمَ القِيامةِ﴾.[٣١] وفي قوله «يحشر العاشقون تحت لوائي» مواكبة لقول النبي ﷺ: ﴿أنا أولُ الناسِ تنشقُّ الأرضُ عن جُمجُمَتي يومَ القيامة ولا فخرَ، وأُعطَى لواءَ الحمدِ ولا فخرَ﴾[٣٢] وقوله ﷺ: ﴿وأنا الحاشِرُ الذي يُحْشَرُ النَّاسُ علَى قَدَمِي﴾.[٣٣]

بعد ذلك تلفتنا الصور القليلة التي تأتي خالية من الصناعة بانسيابية وبلا تكلف، وذلك لتركيز الشاعر على عمق المعاني لا زخرف المباني، كقوله «الحسن أعطاكا» و«الجمال ولّاكا» و«الجمال دعاه» و«بجمال حجبته بجلال» في استعارات عذبة لا تخدش الإيمان، كونه في مقام مخاطبة الله عز وجل بعظمته، وإن كان خطابَ المحب للمحبوب. وكذلك الكنايات اللطيفة كقوله: «وتلافي إن كان ائتلافي بك عجل به» كناية عن شدة شوقه إلى لقاء الله عز وجل ورؤية ذلك الجمال الذي هام فيه، ومستنده قول النبي ﷺ: ﴿إذا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يقولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: تُرِيدُونَ شيئًا أزِيدُكُمْ؟ فيَقولونَ: ألَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنا؟ ألَمْ تُدْخِلْنا الجَنَّةَ، وتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ؟ قالَ: فَيَكْشِفُ الحِجابَ، فَما أُعْطُوا شيئًا أحَبَّ إليهِم مِنَ النَّظَرِ إلى رَبِّهِمْ عزَّ وجلَّ﴾[٣٤]. وقوله: «واختياري ما كان فيه رضاكا» كناية عن التسليم لله عز وجل بطمأنينة مطلقة إلى حكمته ورحمته. وفي قوله: «كفاني عزاً بحبك ذلي» دلالتان؛ الأولى كناية عن رفعة المحبوب وعلوه وعزته، إذ إن مجرد حب العبد له عز للعبد، والأخرى شدة ولهه بمحبوبه التي جعلته يرى في ذله وخضوعه له عزاً، ، وقوله: «لك في الحي هالك» كناية عن شدة وجده وهيامه إلى حد الهلاك، وقوله: «بك حي» كناية عن استمرار حياته بحياة محبوبه عز وجل، وهو من مدلولات «وحدة الوجود» بالفهم الصوفي لا الفلسفي، الذي يعني قيام الموجودات بقيومية الموجد سبحانه، ودليلهم في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾،[٣٥] فوجودهما ومن فيهما طارئ حصل بإيجاد الله لهما، وهو مستمر بإمساك الله لهما، فهو وجود مفتقر إلى الموجد وبقاء

---

٣٠ البرهان المؤيد، أحمد الرفاعي، ص٤٩.
٣١ تاريخ دمشق، الدار قطني، الدارقطني، ٥٠٨/١٩. الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.
٣٢ كتاب الإيمان، ابن منده، برقم ٣٣٥. الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.
٣٣ صحيح البخاري، برقم ٣٥٣٢. الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.
٣٤ صحيح مسلم، برقم ١٨١. الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.
٣٥ سورة فاطر: ٤١.

مفتقر إلى الممسك سبحانه، لم تقوما لولا أنه أوجدهما، وستزولان إن تركهما، أما وجوده عز وجل فهو أزلي قائم بنفسه غير مفتقر إلى موجد ولا محتاج إلى من يستمر به دوام وجوده، فوجوده حقيقي متفرد بذاته، وهو وجود واحد مطلق، أما ما سواه فوجوده طارئ مفتقر إلى الله في الإيجاد والاستمرار، فهو وجود غير حقيقي قائم بغيره. والسائر إلى الله عز وجل عندما يُبلَّغ مقام الشهود، وهو مراتب، أولها الفناء عن المشاهدات، وهي الكون بما فيه، وثانيها الفناء عن نفسه فتزول رغباته ولا تبقى له شهوة في شيء، ثم يفنى عن ذاته، فلا يشهد إلا الله عز وجل، ثم يفنى عن فنائه، فلا يبقى وجود غير وجود الله عز وجل، عند ذلك يتكلم على لسان الحق عز وجل، كقول العز بن عبد السلام:

أيـها الخـاطب معنى حسننا   مهـرنا غـال لـمن يطـلبـنـا
جسد مضنى وروح في العنا   وجفـون لا تـذوق الوسـنـا
وفـؤاد ليـس فـيـه غـيرنــا   فإذا ما شئت أدِّ الثمـنـا[٣٦]

وقول محمد الإسعردي الدمشقي في تفسيره:

تشـاغـل عنّـا بوسواسـه   وكـان قـديـمـاً لنا يطـلب
محب تناسى عهود الهوى   وأصبـح في غـيرنـا يـرغب
ونحـن نـراه ونـمـلي لـــه   ويحـســبـنـا أنـنــا غُـيَّـبُ
ونحن إلى العبد من نفسه   ووسواس شيطانه أقرب[٣٧]

وفي قوله: «أنا وحدي بكل من في حماكا» كناية عن تفوق حبه وتميزه فلا يساويه حب أحد. وفي قوله: «يحشر العاشقون تحت لوائي» كناية عن أنه أعلاهم رتبة في هذا العشق، فكلهم تبع له فيه. وفي قوله: «وجميع الملاح تحت لواكا» كناية عن جمال الله المطلق الذي يفوق كل جمال، فكل جمال هو بعض من جماله ينضوي تحت لواء إشراق نوره سبحانه.

كما نلحظ منطقية الاستدلال في قوله:

فعلى كل حال أنت مني   بي أولى إذ لم أكن لولاكا

---

٣٦ زبد خلاصة التصوف، عز الدين بن عبد السلام، ص٣٣.
٣٧ طبقات المفسرين، الداوودي، ج٢، ص٨٢.

فالصانع الذي أوجد المصنوع، وصنعه بعلم وحكمة، وركبّه في أحسن تقويم، وخلق فيه أجهزة متناسقة في أدوارها تمكنه من التعايش مع ظروف الحياة، وخلق له مقومات في الدنيا تقيم أوده وتعينه على عيش عمره المكتوب له في علم الصانع، بالتأكيد هو أولى بالمصنوع من غيره، بل أولى حتى من المصنوع نفسه.

وأما المحسنات البديعية فقد ورد منها جناس وتضاد بشكل عفوي، كما يبدو، أو أن براعة الشاعر أخفت تكلفه فيها، فمن الجناس قوله «ولَكَ – ولّاكا»، «اقض – قاضٍ»، «تَلافي – ائتلافي»، «اختبرني – اختياري»، «أولى – لولا»، «كفاني – أكفاكا»، «الحي – حي» «هالك – الهلاك»، «جمال – جلال»، «استعذب – العذاب»، «دعاه – دعاكا»، «لوائي – لواكا»، وكلها من الجناس الناقص، ما عدا «حي– الحي» فهو جنس تام. وأما الطباق ففي قوله: «عزاً – ذلي»، و«هالك – حيٌّ»، «كل من يهواك – وحدي». ومن المقابلة قوله:

وَإِلَى عِشْـقِكَ الْجَمَـالُ دَعَـاهُ فَإِلَى هَجْـرِهِ تُرَى مَـنْ دَعَـاكَـا

فقابل بين الدعوة إلى العشق والدعوة إلى الهجر. وقوله:

يُحْشَـرُ الْعَـاشِـقُوْنَ تَحْتَ لِوَائِيْ وَجَمِـيْعُ الـْمِلَاحِ تَحْتَ لِـوَاكَـا

قابل بين حشر العاشقين تحت لواء العبد، والمعشوقين تحت لواء المعبود، وفي ذلك جماليات تعددت، ما بين «العاشقين والملاح» و«الياء العائدة إلى العبد، وهو المحب، والكاف العائدة إلى المعبود وهو المحبوب».

ويتسم مطلع القصيدة بالمباشرة، وهي من سمات شعر ابن الفارض، على غير المعتاد في شعر عصره المتسم بالبناء التقليدي للشعر العربي، أو ما يسمى «عمود الشعر»، الذي يبدأ باستيقاف الصاحب للوقوف على الأطلال، والبكاء، والتشوق، والدعاء بالسقيا للديار، وإنما يعرج على أحد هذه المعاني أو بعضها، في المطلع الذي يكون متداخلاً مع سياق القصيدة، بل هو تمهيد لها، فهو أقرب إلى المباشرة منه إلى التقليد. فكثيراً ما يكتفي منه، في المطلع، بالجزء الخاص بالنسيب، كما في قصيدته التي مطلعها:

قلبي يحدثني بأنك متلفي روحي فداك عرفت أم لم تعرف[٣٨]

والقصيدة التي مطلعها:

سائق الأظعان يطوي البيد طي منعماً عرّج على كثبان طي[٣٩]

والقصيدة التي مطلعها:

[٣٨] ديوان ابن الفارض، ص١٥١.
[٣٩] ديوان ابن الفارض، ص٧.

ما بين ضال المنحنى وظلاله   ضل المتيم واهتدى بضلاله[٤٠]

وكلها تتسم ببراعة الاستهلال، إذ يكون البيت الأول تمهيداً لمضمون القصيدة كلها، كما نجد هنا، فقد جاء قوله: «تِـه دلالاً» ممهداً لمضمون عدد من الأبيات، وهي الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع، وقوله «فالحسن قد أعطاكا» مهد لكل مضمون جاء فيه ذكر الجمال، وهي الثاني، والثامن، والتاسع. وجاء التصريع «لذاكا – أعطاكا» ليزيد المطلع جمالاً وانسيابية أعذب في السمع. ومن رد العجز على الصدر قوله:

لَكَ فِيْ الْحَيِّ هَالِكٌ بِكَ حَيٌّ   فِيْ سَبِيْلِ الهَوَى اسْتَلَذَّ الْهَلَاكَا

ومن جهة الموسيقا، فإن البحر الذي نظم عليه الشاعر أبياته هو البحر الخفيف «فاعلاتن مستفعلن فعلاتن»، وهو بحر سلس للإنشاد، وهو أمر يحرص الصوفية على مراعاته حين ينظمون، وقد مر بنا أن ابن الفارض كانت قصائده تنشد على المآذن في مكة المكرمة، خلال إقامته فيها خمسة عشر عاماً.

وجاءت كلمات القافية في مواضعها الدلالية ليأتلف اللفظ والمعنى مع سياق البيت، ففي قوله: «لك في الحي هالك» جاء في الشطر الأول بلفظ «هالك»، وفي نهاية الشطر الثاني «الهلاكا»، فالمتلقي حين يسمع الشطر الأول وجزءاً من الشطر الثاني سيعلم أن كلمة القافية ستكون «الهلاكا» قبل أن ينطقها الشاعر، وهذا ما يذكي ملكة الإرصاد عند المتلقي المتمكن، ليؤكد أن كلمة القافية جاء مكينة لا قلق فيها وليست حشواً، ما يدل على تمكن الشاعر من فنه وقدرته التعبيرية، ونلحظ ذلك في عدد من الأبيات، فبمجرد أن يسمع المتلقي البيت الأول، ويعرف أن روي القصيدة حرف الكاف مع ألف الأطلاق، فإنه حين يسمع البيت الثاني المبدوء بقوله «ولك الأمر» فإنه حين يسمع أول الشطر الثاني سيعرف أن كلمة القافية «قد ولّاكا». وكذلك في البيت الثالث، حين يسمع كلمة «جُعلتُ» سيعرف أن كلمة القافية «فداكا»، وينطبق ذلك على البيت التاسع والبيت الحادي عشر، بصورة يقينية، وعلى بعض الأبيات الأخرى بصورة ظنية، بحسب تمكن المتلقي وقدرته على الإرصاد، ما يدل على تمكن الشاعر من فنه ودقة اختياره لألفاظه، فهو يصدر عن طبع، وينظم في صدق حال، بصحة تعبير. وأما حرف الروي الذي جاء كافاً ألحقت بها ألف الإطلاق، وكان معظم هذه الحروف هو كاف الخطاب في روي تسعة أبيات: «أعطاكا، ولاكا، فداكا، رضاكا، لولاكا، أكفاكا، دعاكا، حماكا، لواكا»، وقد بينت دلالة تكرار كاف الخطاب والإلحاح عليها، وذلك لاستغراق الشاعر في خطاب محبوبه، فيحلو له أن يكرر الضمير العائد إليه سبحانه، مستمتعاً به متلذذاً بذكره، الذي يعد بالنسبة له كالخمر المسكرة، فهو القائل في قصيدة أخرى:

---

٤٠ ديوان ابن الفارض، ص١٢٦.

أدِرْ ذِكْـرَ مَـن أهْـوى ولو بمَـلامِ فـإنّ أحـاديثَ الحَـبيبِ مُـدامـي[٤١]
لِيَشْهَدَ سَمْعِي مَن أُحبُّ وإن نأى بـطَـيـفِ مَـلامٍ لا بـطَـيـفِ مَـنـام

وأما الألفاظ ففيها مرونة، وقد جاءت سهلة مأنوسة لا تقعر فيها ولا وحشية، ومعظمها من المتداول، وتأتي أفعال الرجاء (الأمر): «تِـهْ، تَحكّم، فاقضِ، عجّل، اختبرني» لتشير إلى استسلامه لما يريد ويقضي محبوبه عز وجل، فهو الفاعل ولا إرادة للمحب مع إرادة محبوبه، وتتعانق دلالات هذه الأفعال بصيغة الرجاء مع الأفعال التي جاءت بصيغة الماضي لتشكل علاقة وطيدة بين الأسباب والمسَبَّبات، مثل «أعطاكا، ولَاكا، شئتَ» لتمكين فكرة تسليم العبد المحب ورضاه بما يقضي محبوبه ومولاه، واختيار الرب المحبوب ما يشاء وقضاؤه ما يريد. ، وجاء بالمصدر «تَلَفي» بصيغة «تلافي» للمبالغة وتكرار الفعل، كأنه يقول «تتالفي»، أو «تلفي المتكرر باستمرار». وقوله: «ولست من أكفاكا» جاء به إقراراً له بذلك، وليقوي به المعنى في قوله «وكفاني عزاً بحبك ذلي وخضوعي»، إذ إن المحبوب المتفرد الذي لا كفء له يكون التذلل والخضوع له عزاً للمحب. وفي قوله: «فإلى هجره – تُرى – من دعاكا» يظهر جليّاً أدب ابن الفارض مع الله، فلم يوجه الخطاب إلى الله عز وجل، لأنه سبحانه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ﴾[٤٢] فأدخل في السؤال «تُرى» لكي يكون الاستفهام تعجبياً بينه وبين نفسه، لا حقيقياً موجهاً إلى الله عز وجل، فيخالف بذلك مقتضى الآية، وذلك من كمال الأدب. وفي قوله «الحسن أعطاكا» حذف المفعول الثاني لأمرين؛ الأول أن الكلام السابق دل عليه؛ وهو قوله: «تحكم» أي أن حسنك قد أتاح لك التحكم بمحبك، والثاني أن الله عز وجل لا يُعطَى حقاً هو له في الأصل، ولا يخوَّل سلطة هو مالكها على الحقيقة، وإنما تخويله منه عز وجل، فالحسن صفة له سبحانه، كالقدرة، فهو بحسنه أعطى نفسه هذا الحق.

ودارت ستة الأبيات الأولى كلها حول صفات المحبوب عز وجل، من كِبْرٍ وتحكم، وجمال، وقضاء، وولاية، وقهر، ومشيئة، وأولوية، وعزة، وهيمنة وجلال خضع لها الخلق، وأحدية فردانية تفرد بالاتصاف بها فلا يشاركه بها أحد، وكأنها إشارات إلى أسمائه الحسنى عز وجل: «المتكبر، والقيوم، والجميل، والمقدّر، والوالي، والقاهر، والفعال لما يريد، والولي، والعزيز، والمهيمن، والذي لم يكن له كفواً أحد». لتشير إلى ثلاثة مدلولات، لا رابع لها، الأول دلت عليه عشرة الأسماء: «المتكبر، والقيوم، والمقدّر، والوالي، والقاهر، والفعال لما يريد، والعزيز، والمهيمن، والذي لم يكن له كفواً أحد، والجليل، هذا المدلول هو سلطة الرب المطلقة على هذا الكون

---

[٤١] ديوان ابن الفارض، ص١٦٢.
[٤٢] سورة الأنبياء: ٢٣.

وتدبيره له كما يشاء. واسم «الجميل» الذي لا يفتأ يذكره ويكرره متلذذاً، دلالة على تمكنه من قلبه، وسيطرته على فكره، وتعشقه بمشاعره وجوارحه. واسم «الولي» الذي يدل على موالاته لمحبيه، فيتفاءل الشاعر بأنه سيحن عليه ويرأف به فيعيد إليه الوصل بعد الهجر. أما خمسة الأبيات التالية، مع البيت السابق (السادس) الذي جاء رابطاً بين الأبيات السابقة والتالية بما يسمى «حسن التخلص»، فجمع بين صفة العز لله وصفة الذل والخضوع لنفسه، لينتقل من صفات المحبوب عز وجل إلى أحواله هو المحب المتيم، فجاءت الأبيات لتبين حال الشاعر التي تعددت وجوهها، في ظل وجوه الأسماء الحسنى السابقة، وهي: «ذلي، خضوعي، هالك، بك حي، سائر في سبيل الهوى، استلذ الهلاك به، استعذب العذاب في حب الله، عشقه لجمال الله عز وجل، الذي يعدل عشق كل العاشقين مجتمعين، وتقدُّمه في هذا العشق الذي اجتمع كله فيه كما اجتمع كل الجمال في المحبوب عز وجل. وهذا من معطيات «وحدة الشهود» في الفكر الصوفي المماسة لفكرة «وحدة الوجود» فالشاعر لا يشهد جمالاً غير جمال الله عز وجل، فقد اجتمع فيه كل الجمال، وكذلك لا يشهد عاشقاً له سوى نفسه التي اجتمع بها عشق كل العاشقين. ويلفت المتلقي جمعه بين العشق والهجر، وهما ليسا ضدان في المعنى، لكن العشق مكافأته الوصل، أما الهجر فجزاء الـمُعرِض، فكأنما هو تضاد (طباق) لغوي أراد به الإشارة إلى قول الله عز وجل: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلّا الْإِحْسَانُ﴾،[٤٣] لكن بأدب المحب الخاشع الخاضع الذي جعل إرادته في إرادة محبوبه، لا اختيار له مع اختيار المحبوب، لذلك جاء بالاستفهام التعجبي مع كلمة «تُرى» ليكون التساؤل في نفسه وليس موجهاً إلى المحبوب عز وجل، كما بينا. ويأتي الإيقاع الداخلي المتمثل بالتكرار، باعتباره خصيصة عريقة من خصائص التعبير الانفعالي: فقد برز بشكل ملموس في الأبيات تكرار كلمات بعينها وأحرف بعينها، لتأكيد المعنى المهيمن على مشاعر الشاعر، من ذلك لفظة «الجمال» التي تكررت ثلاث مرات، ومرادفها «الحُسن» مرة، واللفظ الدال عليه «الملاح»، فيكون التكرار خمس مرات في أحد عشر بيتاً، وهو إلحاح له دلالته، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره، فالشاعر هائم بهذا الجمال الإلهي الذي شغف به واشتعل الشوق في قلبه إلى رؤيته وهام وجداً إلى التملّي به، فهو يتلذذ باستعادة لفظه وتكرار ذكره، وكذلك الضمير أنت، الذي تكرر ثلاث مرات في الأبيات الخمسة الأولى، ويساند هذا التكرار تكرار حرف التاء في غير الضمير «أنت» ثماني عشرة مرة، لارتباطه بهذا الضمير «تَ» كأنه يقول «أنت»، وكذلك كاف الخطاب تكررت سبع عشرة مرة، وكل ذلك دليل على توجه الشاعر بكليته إلى محبوبه عز وجل في مخاطبته، كما يشير إلى تعظيمه سبحانه عندما ربطه بأفعال الصفات الإلهية

---

[٤٣] سورة الرحمن: ٦٠.

أو أضافه إلى محبته وهيامه به. كما نلحظ في خمسة أبيات انتهاء الشطر بياء المتكلم المسبوقة بحرف مكسور لزاماً، فيأتي لفظه بما يشبه الأنين: «ائتلافي، اختبرني، منّي، ذلّي، لوائي»، ومثلها «خضوعي» و«وحدي» في الأشطر الثانية، ما يشير إلى الحسرة التي تغل في قلب الشاعر بسبب هجر محبوبه له، بعد وصل، كما يدل سياق القصيدة. وانقسم الأسلوب الإنشائي والخبري متوافقاً مع انقسام الدلالات في الأبيات، ففي الجزء الأول من الأبيات، وهي التي دارت حول صفات المحبوب جل وعلا، جاء الأسلوب إنشائياً طلبياً، ففي البيت الأول: «تِـهْ، وتحكم»، وفي البيت الثاني: «اقضِ»، وفي البيت الثالث: «عجل»، وفي البيت الرابع: «اختبرني»، وأسلوب الشرط في البيت الثالث «إن كان في تلافي ائتلافي بك فعجل به» وفي البيت الخامس جاء بالمدح «إذ لم أكن لولاكا»، وفي البيت التاسع جاء بالاستفهام التعجبي «ترى من دعاكا»، لتقوية الأسلوب الخبري في قوله: «إلى عشقك الجمال دعاه»، واتسم القسم الثاني من الأبيات بالأسلوب الخبري، الذي يصف فيه حاله ومعاناته في هذا الحب، لينتهي إلى فكرة أنه الأكثر عشقاً وهياماً بالجمال الإلهي، وأنه عشقه يعادل عشق كل أهل العشق.

«الحب مجموعة من المشاعر والأحوال العاطفية والعقلية والنفسية قوية التأثير، تشعر صاحبها بالانجذاب القوي والتعلُّق العاطفي بالأشخاص أو الأشياء، وتراوح بين أسمى الأخلاق الفاضلة وأبسط العادات اليوميَّة، وتتنوُّع وتختلف بحسب المحبوبين؛ فحب الوالدين والإخوة يختلف عن حب الزوج والزوجة، ويختلف عن حب الطعام والمتاع، وهو بأشكاله المختلفة أساس العلاقات الشخصية بين البشر، وبسبب أهميته النفسية يعدُّ واحداً من أكثر الموضوعات شيوعاً في الفنون الإبداعية».[٤٤] وهو عاطفة إنسانية جعلها في تكوين الإنسان خالقُه، الذي سوى النفس البشرية ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾،[٤٥] وترك له الخيار في تزكيتها أو تدنيسها ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾،[٤٦] فكانت هذه العاطفة فطرة تتشعب اتجاهاتها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾،[٤٧] وحين جاء الإسلام نظم هذه العاطفة، فجعل منها ما هو واجب، وما هو مندوب، وما هو مباح، وما هو مكروه، وما هو محرم، فالواجب حب الله ورسوله ﷺ، وحب الخير للناس، وهما من دلائل الإيمان، لقوله ﷺ: ﴿لا يؤمن أحدكم حتى يكون

٤٤ ويكيبيديا الموسوعة الحرة، (بتصرف).
٤٥ سورة الشمس: ٨.
٤٦ سورة الشمس: ٩ – ١٠.
٤٧ سورة آل عمران: ١٤.

الله ورسوله أحب إليكم مما سواهما»[٤٨]، وقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»،[٤٩] وقوله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا».[٥٠] والمندوب حب الجمال، لقوله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»،[٥١] وحب فعل الخير والدعوة إليه، لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾،[٥٢] وحب القيم السامية كالحق والعدل لقوله تعالى: ﴿اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾،[٥٣] لأن ثمرة ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[٥٤]والإحسان والحلم والعفو لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾،[٥٥] ولا ريب أن من أحبهم الله يحبونه، لأن المحبة سابقة منه، كما مر بنا في قوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوْنَهُ﴾.[٥٦] والعلم، لقوله ﷺ: «كُنْ عَالِماً أَوْ مُتَعَلِّماً أَوْ مُسْتَمِعاً أَوْ مُحِبّاً لَهُمْ، وَ لاَ تَكُنِ اَلْخَامِسَ فَتَهْلِكَ».[٥٧]، والمكروه حب الدنيا، لقوله ﷺ: «أكبرُ الكبائرِ حبُّ الدُّنيا»[٥٨]، والمباح كحب ما أنعم الله به على العبد لقوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾،[٥٩] وحب المرأة في إطار الحلال لقوله ﷺ في السيدة خديجة عليها السلام: ﴿ إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا﴾[٦٠] وفي إطار العفاف، لقوله ﷺ: «من عَشِقَ وعَفَّ، وكَتَمَ وماتَ، ماتَ شَهيداً».[٦١] والمحرم حب ما حرم الله أو ما يفضي إلى ما حرم، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً﴾،[٦٢] وحب الكافرين أو الظلمة أو المفسدين في الأرض أو الفساق أو أهل الشرور، للحديث الشريف: «قِيلَ للنبيِّ ﷺ: الرَّجُلُ يُحِبُّ القَوْمَ ولَمَّا يَلْحَقْ بهِمْ؟ قالَ: المَرْءُ مع مَن أحَبَّ».[٦٣] وحين نظم الإسلام الحب كانت أبرز ظاهرة، في العصر الإسلامي الأول، الحبَّ العذري، الذي مهد للحب الإلهي ،

---

٤٨ مسند الإمام أحمد، برقم ١٣١٥١. الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.
٤٩ صحيح البخاري، برقم: ١٣. الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.
٥٠ صحيح مسلم، برقم: ٥٤. الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.
٥١ صحيح مسلم، برقم: ٩١. الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.
٥٢ سورة آل عمران: ١٠٤.
٥٣ سورة المائدة: ٨.
٥٤ سورة التوبة: ٤.
٥٥ سورة آل عمران: ١٣٤.
٥٦ سورة المائدة: ٥٤.
٥٧ شعب الإيمان، البيهقي، ٣/ ٢٦٥. المكتبة الشاملة.
٥٨ كشف الخفاء، العجلوني، ١/ ٢٠٠. المكتبة الشاملة.
٥٩ سورة الأعراف: ٣٢.
٦٠ صحيح مسلم، برقم ٢٤٣٥. لدرر السنية، الموسوعة الحديثية.
٦١ شرح صحيح البخاري، ابن الملقن، ٤٥٥/١٧. المكتبة الشاملة.
٦٢ سورة يوسف: ٣٠.
٦٣ صحيح البخاري، برقم ٦١٧٠.

وهما يلتقيان في بعض مظاهرهما، ويختلفان في جوهرهما، فمن ذلك الشوق والوجد والهيام ومعاناة تباريح البعد والهجر والاكتفاء بالمحبوب عمن سواه فإذا هجره المحبوب ضاقت به الدنيا، قال عمر بن أبي ربيعة:

كأنني حين أمسي لا تكلمني ذو بغية أبتغي ما ليس موجودا[٦٤]

وإذا خطر المحبوب في باله غفل عن حاله التي هو فيها، قال ذو الرمة:

فوالله ما أدري إذا ما ذكرتها اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا[٦٥]

وإذا ذكر له المحبوب أو تذكره اعترته رعدة واضحة:

وإني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر[٦٦]

وإذا اجتمع بمحبوبه غاب عن كل ما حوله، وأصبح لا يريد من الدنيا والآخرة سواه:

وأنت من الدنيا نصيبي فإن أمت فليتك من حور الجنان نصيبي[٦٧]

وأكثر الحب يأتي من النظر، لأن الإنسان بفطرته محب للجمال، لذا قد يخرج هذا الحب من إطار البشرية إلى غيرها، كما مر بنا في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾[٦٨] فهي فطرة، وقد فجاءت النساء في أولها، وكان النبي سليمان عليه السلام يحب الخيل، وقصة انشغاله بها وفوات صلاة العصر ذكرها الله في القرآن: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ۝٣١ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ وهذا الجمال ليس محصورا في الصورة، فقد يحصل من الصوت، قال بشار بن برد:

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة والاذن تعشق قبل العين أحيانا[٦٩]

وقد يحصل الحب لحسن الأخلاق، كقول عبد الجليل عليان:

أختَ العقيدةِ بالأخلاق باهرتي في مقلتيكِ عشقت اللهَ والعربا[٧٠]

---

٦٤ ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص١٠٦. هكذا جاء في كتاب الأغاني، وفي الديوان «كأنه» الضمير عائد إلى القلب.
٦٥ شرح ديوان ذي الرمة، ج٢، ص١٣٠٩.
٦٦ ديوان أبي صخر الهذلي، ص٦٨.
٦٧ البيت لمسلم بن الوليد.
٦٨ سورة آل عمران: ١٤.
٦٩ ديوان بشار بن برد، ج٤، ص١٩٤.
٧٠ عبد الجليل عليان، شاعر سوري معاصر، من مدينة منبج، يغلب على شعره الغزل العفيف المتعلق بالأخلاق السامية، له ديوان منشور بعنوان «ثورة الحب الصامت»، صادر عن دار عكرمة بدمشق.

وقد يأتي الحب من سماع وصف جمال امرأة، كما حصل ليزيد بن معاوية الذي وصف له جمال زينب بنت إسحق، وكانت متزوجة، فملكت قلبه ومرض جراء حبها وهو يكتمه، وانتهينا بهذه القصة لنمهد للحب الإلهي، فلا يسأل سائل: «كيف يحب المرء أحداً لم يره ولا سمع صوته»؟ وهو منهج الأبيات موضوع الدراسة.

وهذا التيار، الذي بدأ زهداً ونسكاً مبنياً على مخافة الله والسعي إلى رضاه، تحول إلى الحب الإلهي، متمثلاً برابعة العدوية (ت ١٨٠هـ) وأمثالها، وفي ذلك قصص لأحوالهم في المحبة رواها ابن الجوزي في كتاب «صفة الصفوة»، بعد ذلك بدأ التصوف يترسخ بوصفه منهاج سلوك علمي، على يد ذي النون المصري (ت ٢٤٥هـ) الذي استنبط أصوله من أقوال أئمة التصوف السابقين له والمعاصرين ودوّنها ليترسخ التصوف بوصفه علماً له أصوله وقواعده. لكن السلوك الصوفي لم يترسخ على هذا الوجه إلا على يد الجنيد البغدادي (ت ٢٩٨هـ)، الذي لقب بشيخ الطائفتين، طائفة الفقه وطائفة التصوف، فقد كان فقيها عالماً وإماماً في الزهد والحب الإلهي.

ثم كان الغزالي (ت ٥٠٥هـ) الذي درس الفلسفة وذمها وألف كتاب تهافت الفلاسفة، ولم يكن التصوف حتى تلك الفترة يرتبط بالفلسفة أو يتكئ عليها في شيء من مضامينه، حتى جاء ابن عربي (ت ٦٣٨هـ)، الذي درس الفلسفة، وأخذ بعض مصطلحاتها وأدخلها في التصوف بفهم يختلف عن الفهم الفلسفي لها، مثل «وحدة الوجود»، و«تجلي الله» عز وجل في بديع صنعه في خلقه، ففهم ابن تيمية وأمثاله أنه يقول بالحلول وبوحدة الوجود الفلسفية، فكفّره وكفّر معه ابن سبعين وعفيف الدين التلمساني وابن الفارض وعدداً من القائلين بوحدة الوجود، وكان الحلاج (ت ٣٠٩هـ) قبل ذلك صلب لقوله «أنا الحق»، وكان ممن أفتوا بصلبه الجنيد البغدادي، وقال له: «يا بني، لقد فتحت في الإسلام ثغرة لا يسدها إلا رأسك». وكان لبعض الصوفية أحوال ومنازلات وشهود تضيق اللغة بالتعبير عنها، فيلجؤون إلى المجاز وإلى الرمز، في أشعارهم الوجدانية وهم يبثون من خلالها لواعج الشوق إلى الحق عز وجل، ففهم بعض الناس أقوالهم على ظاهرها، فظنوا فيها الفسوق، كذكرهم الخمر، يقول ابن الفارض:

شربنا على ذكر الحبيب مدامةً   سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم[٧١]

في حين ظن بعض من تأولها لهم أنهم يعنون بها العلوم الإلهية، أو العلم اللَّدنيّ.

وقال أبو يزيد البسطامي «ما في الجبة إلا الله»، وقال سلطان العلماء العز بن عبد السلام:

---

٧١ ديوان ابن الفارض، ص١٤٠.

وإذا ما قيل من تهوى فقل   أنـا مـن أهـوى ومن أهوى أنـا

فـإذا أبـصرتـه أبصـرتني   وإذا أبصـرتـني أبصـرتـنـا(٧٢)

فظن آخرون أنهما يعنيان الاتحاد مع الله سبحانه وتعالى، والحقيقة أنها أحوال عالية من الفناء يتلاشى فيها كل شيء حتى ذات الشاهد، فيتكلم بلسان المشهود، وقد برر ابن تيمية كثيراً من أقوالهم بما يسمى في مصطلحات الصوفية «الشطح» في أحوال فنائهم، فقال: «وَفِي هَذَا الْفَنَاءِ قَدْ يَقُولُ: أَنَا الْحَقُّ أَوْ سُبْحَانِي أَوْ مَا فِي الْجُبَّةِ إلا اللهٌ... وَفِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ يَقَعُ السُّكْرُ الَّذِي يُسْقِطُ التَّمْيِيزَ مَعَ وُجُودِ حلاوَةِ الإِيمَانِ، كَمَا يَحْصُلُ بِسُكْرِ الْخَمْرِ وَسُكْرِ عَشِيقِ الصُّوَرِ. وَكَذَلِكَ قَدْ يَحْصُلُ الْفَنَاءُ بِحَالِ خَوْفٍ أَوْ رَجَاءٍ كَمَا يَحْصُلُ بِحَالِ حُبٍّ، فَيَغِيبُ الْقَلْبُ عَنْ شُهُودِ بَعْضِ الْحَقَائِقِ وَيَصْدُرُ مِنْهُ قَوْلٌ أَوْ عَمَلٌ مِنْ جِنْسِ أُمُورِ السُّكَارَى، وَهِيَ شَطَحَاتُ بَعْضِ الْمَشَايِخِ: كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: أَنْصِبُ خَيْمَتِي عَلَى جَهَنَّمَ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ الْمُخَالِفَةِ لِلشَّرْعِ؛ وَيَحْكُمُ عَلَى هَؤُلاءِ أَنَّ أَحَدَهُمْ إذَا زَالَ عَقْلُهُ بِسَبَبِ غَيْرِ مُحَرَّمٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي مَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ مِنْ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ الْمُحَرَّمَةِ، بِخِلافِ مَا إذَا كَانَ سَبَبُ زَوَالِ الْعَقْلِ وَالْغَلَبَةِ أَمْراً مُحَرَّماً... وَكَمَا أَنَّهُ لا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فَلا يَجُوزُ الاقْتِدَاءُ بِهِمْ وَلا حَمْلُ كَلامِهِمْ وَفِعَالِهِمْ عَلَى الصِّحَّةِ، بَلْ هُمْ فِي الْخَاصَّةِ مِثْلُ الْغَافِلِ وَالْمَجْنُونِ فِي التَّكَالِيفِ... وَفِي الْجُمْلَةِ فَهَذَا الْفَنَاءُ صَحِيحٌ، وَهُوَ فِي عيسوية الْمُحَمَّدِيَّةِ، وَهُوَ شَبِيهٌ بِالصَّعْقِ وَالصِّيَاحِ الَّذِي حَدَثَ فِي التَّابِعِينَ»(٧٣). لكنه لم يعذر القائلين بوحدة الوجود، وحملها على الفهم الفلسفي الذي يعني أن الخالق والمخلوق واحد، لوجود مصطلح فلسفي مشابه في اللفظ ومختلف في المعنى، ولأن رمزية ابن عربي كانت مغرقة في الغموض، وقد دوّن ذلك في شعره، أي في حال الوعي، فخرج بذلك من دائرة الشطح المرتبط بحال السكر، ومثله في ذلك ابن الفارض في مسألة الرمز المغرق في غموضه. وقد ادعى التصوف أناس من الباطنية، وراحوا يبثون سمومهم في عقول جهلة السالكين، ما خلط الأمر على العوام، فلا يستطيع تمييز مستقيمه من معوجّه إلا من جمعوا بين علم الشريعة وعلم التصوف، ومثال ذلك عمر السهروردي الحلبي (المقتول) صاحب فلسفة الإشراق، الذي أفتى العلماء بكفره، فقُتل بأمر السلطان الصوفي صلاح الدين الأيوبي، وهو غير عمر السهروردي البغدادي صاحب عوارف المعارف، الذي كان على منهاج الكتاب والسنة ومن العلماء الصالحين، وإنما هو تشابه أسماء وبلدان وكنى، فكلاهما اسمه عمر وكنيته أبو حفص ونسبته سهرورد، ولكن

---

٧٢ زبد خلاصة التصوف، عز الدين بن عبد السلام، ص١١٧.

٧٣ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٠، ص٣٣٩ - ٣٤١.

شتان بين بتولٍ أهلها شهبٌ   وبين فاجرة تنمى لألف أب

وهذا التلبس الباطني بمظهر التصوف جعل كثيراً من علماء التصوف يعرضون عن أقوال كثير ممن انتسبوا إلى التصوف.

والصوفية لهم مصطلحاتهم كما للفقهاء وأهل الحديث وعلماء اللغة مصطلحاتهم، وقد صنف بعض الدارسين معجمات لألفاظ الصوفية، وإنما قدمت بذلك كله قبل الدخول في دراسة قصيدة ابن الفارض، تمهيداً لما سيمر بنا في تضاعيف القصيدة من إشارات ورموز وكنايات بعيدة عن ظاهرها أو حقلها اللغوي.

لذلك فإننا حين نتعامل مع الشعر الصوفي، ولا سيما المرموز، علينا أن نقدم أولاً حسن الظن، ونتعامل بأناة شديدة، فالمتعامل معه كالمتعامل مع مادة متفجرة شديدة الحساسية، يوشك الخطأ فيها أن يضر بأحد الثلاثة؛ القائل أو المتلقي أو النص، والحساسية هنا تأتي من ارتباط النص بالدين، وتحديداً بالحديث عن الذات العلية؛ الله سبحانه، أو مخاطبته عز وجل، والانفجار هو حكم التكفير الذي قد يطلقه المتلقي على القائل، من خلال التعامل مع النص الوجداني على ظاهر لفظه، فيذهب بالمعنى الحقيقي للنص، وفي ذلك إهلاك لمطلق الحكم نفسه، لأن القاعدة تقول: «من كفّر مسلماً فقد كفر»، ولذلك نجد كثيراً من علماء التصوف يعرضون عن كلام ابن عربي، وينهون مريديهم عن قراءة كتبه وتداول أشعاره، لكنهم لا يكفرونه، وإنما يفعلون ذلك خشية سقوط المريد في هوة الفهم الخاطئ فينحرف، أو السقوط في هوة تكفير المسلم.

والنص الذي ندرسه نص وجداني يذوب قائله حباً وشوقاً ووجداً، ويتفانى في إرضاء محبوبه، ويرضى بالفناء في حبه، ويجد تذلُّلَـهُ بين يديه عزاً له وكرامة، فهو المحبوب الأعلى والأحق الذي اصطفاه الشاعر ابن الفارض من بين الأحباب وذوي الجمال، وهو القائل في قصيدة أخرى:

أنت القتيل بأي من أحببته   فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي(٧٤)

إذ لم يجد أحق منه بالمحبة الخالصة في أعلى مستوياتها، في ظل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾،(٧٥) وحديث النبي ﷺ: «لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتى يكونَ اللهُ ورسولُه أحَبَّ إليه ممَّا سِواهُما».(٧٦) لكن هذه المحبة استولت على ابن الفارض استيلاء متميزاً، ملك عليه قلبه ونفسه، حتى ظن أنه ليس في الدنيا من يحب الله أكثر

[74] ديوان ابن الفارض، ص١٥٢.
[75] سورة البقرة: ١٦٥.
[76] مسند الإمام أحمد، برقم ١٣١٥١. الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.

من حبه له، ويبدو أن هذه القصيدة قالها في حال قبض بعد بسط، وهجر بعد وصل، فكانت شكوى واستعتاباً، ويبدو أن هذا الهجر طال عليه، فأكثر من التذلل لله عز وجل وطلب الوصل، من ذلك قصيدته التي مطلعها:

ما بين معترك الأحداق والمهج   أنا القتيل بلا إثم ولا حرج(٧٧)

وفيها يقول مخاطباً الله عز وجل:

عذّب بما شئت غير البعد عنك تجد   أوفى محب بما يرضيك مبتهج

وخذ بقية ما أبقيت من رمق   لا خير في الحب إن أبقى على المهج(٧٨)

ويبدو أنها سابقة لقصيدته التي مطلعها:

أنتم فروضي ونفلي   أنتم حديثي وشغلي(٧٩)

إذ يبين في الثانية أن الله محبوبه عطف عليه، وأعاد وصله بعد الهجر، فيقول:

آنست في الحي ناراً   ليلاً فبشرت أهلي

نوديتُ منها جهاراً   رَدّوا ليالي وصلي

ونجد إلحاح الشاعر على الرضا بالموت، لأن فيه لقاء المحبوب، وإطفاء لهيب الشوق المشبوب، وقد سبق أن قال الحلاج للناس: «أيها الناس، اعلموا أن الله قد أباح لكم دمي فاقتلوني... اقتلوني تؤجروا وأستريح، فتكونوا أنتم مجاهدين، وأكون أنا شهيداً»(٨٠) ويتكرر هذا المعنى في شعر ابن الفارض، كقوله: «وتلافي إن كان ائتلافي بك عجل به» وقوله: «وخذ بقية ما أبقيت من رمقٍ»، وقوله: «فالموتُ فيهِ حياتي» أما البقاء حياً في الدنيا فهو تأخير للقاء المحبوب، لذا يقول:

«وفي حَياتيَ قَتلي»، كما يتكرر عدد من المعاني التي يلح عليها، كما مر بنا قوله «وبما شئت في هواك اختبرني» و«عذب بما شئت غير البعد عنك» وهي أحوال لا تدخل في السادية؛ أي التلذذ بالعذاب، كالذي نجده عند قيس، القائل:

يقولون ليلى عذّبَتْكَ بِحبِّها   ألا حبّذا ذاك الحبيب المُعَذِّبُ(٨١)

---

٧٧ ديوان ابن الفارض، ص١٤٥.
٧٨ ديوان ابن الفارض، ص١٤٥.
٧٩ ديوان ابن الفارض، ص١٧٥.
٨٠ زبد خلاصة التصوف، العز بن عبد السلام، ص١١٧.
٨١ ديوان قيس بن الملوح، ص١١١.

أمام قول ابن الفارض: «استلذّ الهلاكا»، و«استعذب العذاب»، فابن الفارض يريد أن يبرهن لحبيبه عز وجل أن مستعد لتحمل كل شيء في سبيله، وأنه راض بكل ما يبتليه به، وذلك جلي في قوله: «بما شئت اختبرني»، ويقع هذا موقع ما روي عن الإمام الشافعي، رحمه الله، أنه كان يطوف بالكعبة، فسمع رجلاً يسبقه يقول: «اللهم ارض عني» فقال له: وهل رضيت عن الله كي يرضى الله عنك؟ فقال الرجل: وكيف يرضى العبد عن ربه؟ فقال إذا فرحت بالبلاء فرحك بالعطاء فقد رضيت عن الله. أما قول ابن الفارض: «عذب بما شئت غير البعد عنك» فليس مدلول الكلام أنه يطلب العذاب، وإنما كلامه هنا كناية عن أن البعد عن الله هو عذاب يفوق كل عذاب، وأن أي عذاب مهما كان هو أهون من هجر الله له وإبعاده. وقد صنف العرب للحب درجات، استخدم ابن الفارض في هذه الأبيات ثلاثاً منها: «في هواك»، و«الهَوَى محبةُ الإِنسانِ الشَّيْءَ وغَلَبَتُه عَلَى قَلْبِهِ»،[٨٢] و«بحبك»، «والحُبُّ: نَقِيضُ البُغْضِ. والحُبُّ: الودادُ والمَحَبَّةُ».[٨٣] و«عشقك»، و«العشق: فرط الحب، والعَشَق: لزوم الشيء لا يفارقه... وَسُمِّي العاشِقُ عاشِقاً لأَنه يَذْبُلُ مِنْ شِدَّةِ الْهَوَى كَمَا تَذْبُل العَشَقَةُ إِذا قُطِعَتْ، والعَشَقَةُ: شَجَرَةٌ تَخْضَرُّ ثُمَّ تَدِقُّ وتَصْفَرُّ؛ عَنِ الزَّجَّاجِ، وَزَعَمَ أَن اشْتِقَاقَ الْعَاشِقِ مِنْهُ، والعُشُقُ مِنِ الإِبل الَّذِي يَلْزَمُ طَرُوقَتَه وَلَا يَحِنّ إِلى غَيْرِهَا».[٨٤] ويقابل كل درجة منها عند ابن الفارض لازمها، فقرن الهوى بطلبه رضا محبوبه، وقرن الحب بذله وخضوعه، وقرن العشق بدعوة الجمال إليه، كأنه يقول إن الجمال يستوجب فرط الحب ولزوم هذا الجمال وعدم الانفكاك عنه وعدم الرضا بغيره، وهو ما بينته المعجمات، ويخطئ بعض المعاصرين في فهم المدلول حين يزعمون أن العشق مرتبط بالشهوة، فلا يصح في حق الله تعالى، إذ لم أجد في المعجمات الأصيلة هذا المفهوم ولا حتى إشارة إليه، أما المعجمات التي تأخذ بمصطلحات العصر بحسب فهم واضعيها لا بحسب أصول اللغة في عصور فصاحتها، فلا حجة فيها، وحتى لو قبل منهم فلا يصح تطبيق الفهم المعاصر على كلام السابقين.

ومن هذا التذلل والخضوع والاستماتة في هذا الحب إلى درجة أن المحب «هالك استلذ الهلاك في سبيل الهوى» نلمح الصدق في عاطفة ابن الفارض، وخصوصاً أن قصيدته ليست عابرة بين أغراضه الشعرية، وإنما هي واحدة من مجموعة من القصائد التي لها الغرض نفسه، فهو قد نذر شعره كله للحديث عن حب الله عز وجل، والتشوق إلى رؤيته، والتغزل بجماله المطلق، وشكوى تباريح الهجر وطلب الوصل، ويعمق صدق هذه العاطفة

---

[٨٢] لسان العرب، ابن منظور، مادة هوي.
[٨٣] لسان العرب، ابن منظور، مادة حبب.
[٨٤] لسان العرب، ابن منظور، مادة عشق.

نشأة ابن الفارض في البيئة الصوفية، وخلواته وسياحته. والهجر والوصل في المفهوم الصوفي يختلفان عن مفهومهما في علاقة الحب بين مخلوقين، فالوصل يعني تجلي الله عز وجل لمحبيه، وهو إشراق نوره في القلب وإدراك وجوده بالبصيرة «كأنك تراه»[٨٥] كما في حديث الإحسان، وهي حال تتحقق بالقربات والنوافل والزهد في الدنيا، فإذا استمر التجلي كان «شهوداً»، وهو دوام التجلي الإلهي، وهو أحوال، فمنه تجلي جمال، ومنه تجلي جلال، أما الهجر فيكون غالباً بسبب غفلة من العبد أو التفات إلى شيء غير الله يقع في قلبه، أو ذنب يتسبب في انقطاع التجلي وحجب الأنوار، فالمحب الذي ذاق حلاوة التجلي ولذة مناجاة الله عز وجل، ثم حرمها يصبح كالرضيع الذي فطم فجأة، يبكي ولا يستطيع التعبير عما يريد، وأمه تعلم حاجته، لكنها أدرى بمصلحته، والمحب مثله، أخذ على نفسه عهداً ألا يريد ولا يختار «فاختياري ما كان فيه رضاكا»، لكنه يبكي ويشكو تباريح الوجد وقسوة الهجر «لك في الحي هالك بك حي»، مستعطفاً محبوبه، هامساً بينه وبين نفسه «إلى هجره تُرى من دعاكا»، ومحبوبه يعلم ما يريد، لكنه أدرى بما يصلحه، والمحب يعلم، لكنه الفطام مر، وفي ذلك يقول قائلهم:

هم علموني البكـا ما كنت أعرفـه   يا ليتـهـم علَّـمـوني كيف أبـتـسـم

وأرضعوني لِبان الحب من صغر   حتى إذا علقت روحي بهم فطموا[٨٦]

وهذه معاناة ابن الفارض، فقد غلبه الشوق وطغى عليه الوجد، فأطلق بوحه الصادق في هذه الأبيات الجميلة في نظمها، العذبة في معانيها، ليضفي على نفسه الأمل بيوم الحشر، حين تبلى السرائر، وتظهر مكانته في العشق فينصب له لواء العاشقين وينضوون جميعاً تحت لوائه، ويتضح الجمال المتفرد في محبوبه، ويظهر أن كل جمال إنما هو فرع من جماله عز وجل، فكل حسن ذاب فيه المحبون وهام فيه العاشقون وفني فيه المدلّهون إنما هو تحت لواء الجمال المتصف بالكمال المطلق لله عز وجل، فهو معذور في فنائه وخضوعه وذله.

خاتمـة

من خلال دراستنا للأبيات السابقة، تبينت لنا لمحات من الفكر الصوفي، أهمها استسلام السالك إلى الله عز وجل في ما يريد، فلا إرادة للعبد ولا اختيار مع سيده ومولاه، فمولاه أولى به من نفسه، وأرحم منه بما يختار له،

---

[٨٥] حديث مراتب الدين، ومنه: «قالَ (جبريل): ما الإحْسَانُ؟ قالَ: أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ»، صحيح البخاري، برقم ٥٠. الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.

[٨٦] نسب بعضهم البيتين إلى ابن الوردي، ونسبهما آخرون إلى الوأواء الدمشقي، ولم أجدهما في ديوانيهما، ووجدتهما مشطرين منسوبين إلى عمر تقي الدين الرافعي، لكنني وجدت تبايناً بين التشطير المضاف إلى البيتين وبين البيتين الأصليين في الأسلوب، فلا يمكن أن يكونا صدرا عن شاعر واحد، ولعل الرافعي أحبهما وشطرهما بإضافة شيء حاول أن يكون متناسبا مع سياق البيتين.

وأعلم بما هو خير له، وأحكم في تدبيره، وأنه ليس له إلا الرضا، وحسبه شرفاً وعزاً أن يكون محباً للمولى العظيم ذي الجمال الكامل والجلال التام، خاضعاً لمراده، ذليلاً بين يديه، يستعذب تباريح الحب ويستلذ مواجيده ولو بلغت به الهلاك، فهو غاية مناه لكي يلقى محبوبه ويروي ظمأ قلبه من ذلك الجمال، الذي كل نظرة إلى وجهه الكريم خير من الجنة ونعيمها، وقد عبر ابن الفارض عن ذلك بأدب العارفين وذوق العاشقين، بلغة سلسة تمكن من ناصيتها، فسالت على لسانه التعابير زكية راقية، بألفاظ استوت في سياقاتها، وأساليب توافقت مع مواقفها ومقتضياتها، فجاءت الأبيات متلاحمة النسج بينة التعابير، لا حشو فيها ولا ألفاظ يستغني النص عنها، عميقة الدلالات رقيقة الحواشي، واستفاد فيها من ثقافته الدينية وتربيته الصوفية، في الإشارات دون اقتباس مباشر، فتكاملت ثقافته في الأدب وأساليبه، ومعرفته باللغة وفنونها، وعلمه بالدين وحلاله وحرامه وواجبه ومندوبه، وأدبُه الذي تلقاه في تربيته في التزكية، وذوقُه في فهم الحب عموماً والحب الإلهي خصوصاً، وانضوى ذلك كله تحت قبة «قَدْرِ الله حق قدره»، فلم يغفل في مناجاة جمال الله عز وجل عن حجاب جلاله سبحانه، الذي يظل فيه العبد عبداً في مقام الخضوع والذلة والاستسلام، والرب رباً في مقام العزة والجلال والتفرد في الإرادة والقضاء الذي ليس له فيه كفؤ يباهي أو ند ينازع، ليخرج لنا بهذه الأبيات المتسمة بجمال التعبير وعذوبة المناجاة ومرارة الشكوى، وحلاوة الأمل. ولعلي أكون قد بلغت شيئاً يسيراً من دلالاتها، وأنصفتها ببعض ما أدركت من جميل معانيها وجليل مدلولاتها، واستوفيت ما استهدفت من دراستها، ولا كمال في عمل بشري ينظر صاحبه من زاوية وتفوته زوايا، وكله بما علّم سبحانه وألهم، فله الفضل في ما تم، وعليّ اللوم في ما نقص، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله

المصادر والمراجع

المصادر:

١ – القرآن الكريم.

٢– البرهان المؤيد، أحمد الرفاعي، تحقيق عبد الغني نكه مي، من دون اسم دار ولا تاريخ.

٣– الفتوحات الإلهية، ابن عجيبة أحمد بن عبد الله الحسني، عالم الفكر القاهرة، مصر، من دون تاريخ.

٤– اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي، أبو نصر السراج عبد الله بن علي الطوسي، تحقيق عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد، ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م.

٥– بدء العلقة بلبس الخرقة، ابن المبرد الحنبلي، الحافظ جمال الدين يوسف بن بدر الدين حسن بن عبد الهادي، لبس الخرقة في السلوك الصوفي، مجموعة رسائل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، من دون تاريخ.

٦– ديوان ابن الفارض، عمر بن الفارض، دار صادر، بيروت، لبنان، من دون تاريخ.

٧– ديوان أبي صخر الهذلي، عبد الله بن سلمة السهمي الهذلي، جمع وتأليف عبد الجواد الطيب، منشورات جامعة الفتح، ١٩٨١م.

٨– ديوان اليافي، عمر بن محمد اليافي الحسيني، ضبط وتعليق عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

٩– ديوان بشار بن برد، أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ، الفارسي أصلاً، العقيلي ولاءً، شرح محمد الطاهر بن عاشور، راجعه محمد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ١٣٦٨هـ – ١٩٦٦م.

١٠– ديوان ذي الرمة، غيلان بن عقبة العدوي، شرح أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، رواية أبي العباس ثعلب، تحقيق عبد القدوس أبي صالح، ط٢، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

١١– ديوان عمر بن أبي ربيعة، عمر بن أبي ربيعة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه فايز محمد، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

١٢– ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى، قيس بن الملوح العذري، رواية أبي بكر الوالبي، دراسة وتعليق يسري عبد الغني، ط١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١٣- زبد خلاصة التصوف (حل الرموز ومفاتيح الكنوز)، عز الدين بن عبد السلام، تحقيق محمد عبد الرحمن الشاغول، مكتب الروضة الشريفة للبحث العلمي، منتدى سور الأزبكية، الجزيرة للنشر والتوزيع، من دون تاريخ.

١٤- شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه مجيد طراد، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٥- طبقات المفسرين، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، تحقيق علي محمد عمير، مركز تحقيق التراث بدار الكتب، ط٢، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٦- مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد ابن تيمية الحراني، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

المراجع:

١٧- كشف السر الغامض في شرح ديوان ابن الفارض، عبد الغني النابلسي، تحقيق خالد الزرعي، ط١، دار نينوى، دمشق، سورية، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

المعجمات:

١٧- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٩- معجم لسان العرب، ابن منظور. المكتبة الشاملة.

الموسوعات:

٢٠- الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.

٢١- ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

